

# خواتر ثروت أباطة

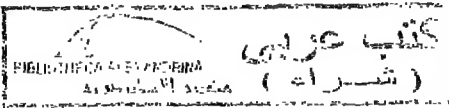


مكتبة مصر  
٢ شارع كامل صفي - الفيحانة



# خواتم

## ثروت أباطة



الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠





مجلة الإذاعة والتلفزيون

عدد : ٢١١٤

سبتمبر ١٩٧٥

## إذا أشرق الشعاع

### وضحت الكلمات

حين يأتى على الناس زمان يصبح الحديث فيه صراحة أو همسا ، ينزوى الإنسان فى داخل الإنسان ، وتسقط القيم وتنهدم الكرامة وتصبح الحياة صورة ممسوخة مشوهة ، غير خليقة بأن تعاش ولا خليقة بأن تدوم .

ذلك أن الصراخ لغة الخناجر والخناجر لا عمل لها ، والهمس لغة الخوف والخوف لا ضمير له ، وإذا إنعدم العقل وأمحى الضمير سقطت الحياة .

وقد عشنا هذه الفترة ، وأبينّا فيها أن نصرخ لأن الصارخين آنذاك كانوا أدوات لتكبير الأصوات ، وكانت الأصوات جميعها تنبعث عن مصدر واحد .

وعشنا هذه الفترة ، وأبينّا أن نهمس لأن ضمائرنا أبت علينا أن تكون همسا ولنا أقلام . وإذا كرم الله القلم فأقسم به ، فعار على الإنسان أن يمتن هذا القلم الذى وهبه الله له . فبالكلمة عاشت الأديان جميعا ..

اختارها الله لتكون معجزة معجزاته على الأرض . . فحين اختفت شمس موسى وعصاه ، وحين ماتت طيور عيسى ومرضاه ، وبقيت كلمة الله خالدة على وجه الزمان تثبت دعائم الأديان جميعا ، فتشرق شمس موسى وتسعى عصاه ، وتعيش طيور عيسى ويحيا مرضاه . فحامل

— ٤ —

الكلمة هو شرف الحياة وهو وجودها وهو قيمتها . شاهد عصره ،  
 ونبض قومه ، وآهة المظلوم فيهم المهان ، وعضة الجوع عند فقيرهم  
 والمعلم ، وموقف الضمير عند غنيهم ذى الكفظة القاسى . وصاحب  
 الكلمة هو وحده من يستطيع أن يقول للطاغوت جاوزت المسدى  
 والحدود ، فمهلا أو تحيط بك عدالة السماء ينزلها عليك أبناء الأرض .  
 وقلنا وكانت كلمتنا تتخفى فى السرد الروائى والقصص ، وكان  
 الشعب العربى يتفد إلى ما وراء الخفاء فيقتنص المحجب من وراء ستار  
 ويذيعه ، ويسمع الحاكم الطاغوت ويقف حائرا بين أن ينزل عقابه وهو  
 سفاح ، وأن يكتم غيظه فلا يذيع ما استتر ، ولا يشتهر ما استسر ، ولا  
 تصبح الكلمة التى يجررها الناس واضحة شهيرة .

وتمر بنا الأيام كالحلة السوداء ، لا هى تقتل فتريح ، ولا هى تشرق  
 فنعيش ، ولكن الحيرة لم تطل بالطاغوت فإن كان من حسن الرأى ألا  
 ينزل علينا عقابه الشهير ، فلا بأس أن ينزل علينا عقابه المتخفى وراء  
 النذالة والجبن . ويمر عشرون عاما ونيف على صاحب هذا القلم بغير  
 مكان ثابت فى مجلة أو جريدة مصرية . ويأبى صاحب هذا القلم أن  
 ينسب لغير مصر فمن أجلها قال كلمته ، ومن أجلها يعيش إذا كان  
 لعيشه معنى ، ومن أجلها يموت إذا كان موته يحمى هبأة هائمة بين  
 سمائها وأرضها .

حتى إذا أذن الله لمصر أن يعود إليها شعاع من النور ، توقف الصراخ  
 وإنقطع الهمس وصار الحديث كلاما يقوله عقل لعقل ، وقلب لقلب ،  
 وضمير لضمير . عادت العقول والقلوب والضمائر إلى الحياة فى دفء  
 الشعاع العائد ، وأزال الكلام عنه حجابيه وظهر للناس واضحا كالعمل

— ٥ —

الطيب . وقلنا . . ولكن الذى سمع منا كان إنسانا ولم يكن سرطانا  
بشرى غير جدير بأن يسمى .

وأحس الإنسان أن ما يسمعه إنما يقال من أجل مصر . ومصر عند  
هذا الإنسان هى حياته وروحه ، وهب لها نفسه عند حرب ، وهب لها  
نفسه عند سلم ، واثقا أنه إذا عاشت مصر . . عاش العرب جميعا . . .  
ولأنه إنسان عرف مصادر الحديث واتجاهه ومنحاه ، ولأنه عرف  
هذا وجد صاحب هذا القلم مكانا ثابتا يخاطبك منه مطمئنا إلى غده  
ناظراً إلى أمسه ، قرير الخلجات مطمئن الجوانح

## مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١١٦

أكتوبر ١٩٧٥

## قطعة الأرض هذه . .

يقولون إننا بعنا مبادئنا فى سبيل قطعة أرض . والبيع فى سبيل المبدأ تعارف الناس أن يكون عملية يعود نفعها على شخص بذاته ، هانت عليه مبادئه فباعها ليكسب كسبا خاصا . فقولهم هذا يثير الإضحاك بقدر ما يثير الإشفاق . فهل أنور السادات اقتنى فى عملية فك الاشتباك الثانى بضعة أفدنة يعود ريعها عليه ؟

ما هى مبادئنا ؟ إنها تحرير الأرض . . وما هى مبادئ المقاومة ؟ إنها تحرير الأرض . أما مبادئ سوريا فهى الائتلاف لحزب البعث ، وبقاؤه فى الحكم وليكن بعد ذلك ما يكون .

أما نحن فقد قدر لنا أن تكون هذه مبادئنا لعدة فترات من التاريخ ، وكان آخرها تحرير أرضنا من الإنجليز . ولم نصل إلى ذلك إلا حين سقطت الإمبراطورية البريطانية جميعا وسقطت شمسها التى كانت لا تغيب عن أملاكها . وبعد ذلك وقبل ذلك كانت مبادئنا تحرير الأرض الفلسطينية من العدوان الصهيونى . وبذلنا فى سبيل ذلك دماء شهدائنا فى عامى ٤٨ ، ٥٦ مجللة بالمال المعتصر من قلوب أبناء مصر ، وبذلنا فى سبيل ذلك دماء شهدائنا فى عام ٦٧ ، وخضبا هذا المال نفسه وقد زاد عليه خزى الهزيمة وانكسار العزة وهوان الكرامة .

ثم انتصرنا واجتحتنا برليف وأسطورة إسرائيل التى لا تهزم ، وقدمنا الدم الغالى والمال . ولكننا سعدنا بالدم والمال جميعا أن أعاد للعرب جميعا



— ٧ —

عزتهم وكرامتهم ، ومنحهم فوق ذلك أموالا من البترول ما كانوا ليحلموا بها فى يوم من الأيام . وآن لنا أن نحقق شيئا من مبادئنا فنسترد جزءا من أرضنا ، فاسترداد جزء من أرضنا هو فى ذاته تحقيق بعض من مبادئنا .

ذلك أننا لم نجعل من مبادئنا تجارة ، ولا جعلنا من أنفسنا فى عهد السادات قراصنة نهصد الدول العربية لننال من أموالها مالا يطيب لها أن تعطيه .

لقد كنا على بينة دائما بالدور الذى قدر لمصر أن تقوم به لتدفع ضريبة مكائتها الضخمة بين الدول العربية .

فأى مبادئ بعنا ، وماذا كسبنا فى سبيل ما بعنا إلا أن نسترد جزءا من أراضينا ومواقعنا الحربية وأموالنا التى اغتصبت فى سبيل قضية فلسطين .

وبعد فياترى هل أحس الناعقون بالخزى حين كشفت المواد السرية من الاتفاقية ، واستبان أمرها عن تعهدات مبذولة جميعها من أمريكا لمصلحة سوريا والفلسطينيين ؟

ولكن ما هذا السؤال ؟ أمثل هؤلاء يخجلون ؟ . .

وهل أدل على ذلك من قول راديو دمشق أننا لا نعتمد على ضمانات أمريكا أو الرئيس فورد لنا والرئيس السادات ، لأن ضمانتنا الوحيد هو قوتنا الذاتية .

أهؤلاء يخجلون ؟ إذن فلا بد لنا أن نذكرهم أننا رأينا قوتهم الذاتية ونعرفها حق المعرفة . فبهذه القوة الذاتية فقدوا الجولان فى عام ١٩٦٧ .

— ٨ —

وفى حرب الانتصار ٧٣ أوشكت قوتهم الذاتية أن تستقبل الجيوش  
الصهيونية فى دمشق .

ترى ألا يعرف الشعب السورى هذه الحقيقة كما تعرفها جميع  
الشعوب العربية ؟ فأى قوة ذاتية يتحدثون عنها ؟ اللهم إلا أن تكون قوة  
الخناجر المشقوقة والصراخ المجنون والوجه الجامد الذى لا يدركه  
الحياء ؟.

## مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١١٧

١١ أكتوبر ١٩٧٥

### بورك هذا المعول

أيدرى المعول الذى أهوى على سجن طرة ماذا حطم ؟ إنه لم يحطم جداراً من الطوب وإنما جداراً من الخوف . ولم يكن هذا الجدار يحيط بنزلاء السجن وحدهم ، وإنما كان فى قوة سحرية شرسة عاتية ، يحيط بنفوس المصريين جميعاً فيحيل حياتهم فزعا ونومهم أرقا ويومهم يؤسا وغدهم هلعاً .

وينفس السحر الأسود كان يحيط بنفوس الأبناء والإخوة وذوى الرحم ، فيحيل الصلات بين بعضهم وبعض توجسا وتخوفاً ، ويحيل الحب المشرق إلى خيانة ، والود الذى تباركه السماء إلى البغض الذى يدنسه المال أو الرعب من السلطان .

هذا المعول الذى سقط على السجن هو نفس المعول الذى حطم بارليف لأنه بيد الإيمان بالحق يهوى . وهو نفسه الذى صعق أذبال السخيمة السوداء من الحقد فى منتصف مايو ، وهو الذى محق حكم الهوى ليقم حكم القانون ، ودحض دعوى الباطل ليرفع شعار الإيمان بالله تقدست أسماؤه ، والأنبياء صلى الله عليهم أجمعين .

وبهذا المعول منذ أشرق شعاعه فى آفاق سمائنا أشرقت منا الروح ، وتحررت النفوس من كبول الهلع ، وارتفعت « الله أكبر » تملأ حولنا

— ١٠ —

العالمين . وانتمينا إلى أغلى وأسمى ما يمكن أن نتمنى إليه . . مصر !  
عائدين إليها بعد أن غابت عنا وغبنا عهدا عهيدا وزمنا بعيدا ، فكانت  
من غيرنا حائرة في دنيا الدول ، وكنا من غيرها حيارى في دنيا الناس ،  
حتى هدى الله الحيرة وانتمت إلى أبنائها وانتمى إليها أبنائها ، فبوركت  
أيها المعول ،

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١١٨

١٨ أكتوبر ١٩٧٥

## سقوط الفعل الماضي

فى اللغة العربية فعل يسمى الفعل الماضى يطلق على ماتم فعلا من أحداث فىقال قرأت الدرس ، أى أن فعل القراءة تم فعلا ونفذ ، وأصبح من الأحداث التى مضى عليها الزمن واتخذ موقعه من التاريخ . والملاحظ أن هذا الفعل اندثر تماما من بيانات الوزراء بل وكاد يندثر معه الفعل المضارع أيضا . فأنت لا تقرأ بيانا يقول تم وهو فعل ماض ، أو يتم وهو فعل مضارع ، إنما الفعل صاحب الخطوة الذى لا يخلو منه حديث لوزير أو بيان لمستول . هو الفعل الذى يدل على الاستقبال ، أى أن العمل سيتم فى يوم من الأيام التى لم تطلع شمسها بعد ، والتى لا يعرف أحد متى تطلع ؟ وهذا الفعل كربه للشعب لا يحبه ولا يشتهى أن يسمعه لأن فيه معنى الوعد . ومصر وشعبها عاشت على الوعود الزائفة أجيالا طويلة حتى أصبحت تكره الوعود وتكره تبعها فعل المستقبل . فقد وعدوا الإنجليز وأخلفوا لها الوعد سنوات طويلة من عمرها ، ووعدوا كل رئيس وزراء ووعدوا كل مستول فكرهت مصر الوعد . . . أثار فى نفسى هذا الحديث وعد أخير طال به الأمد وهو وعد هين التنفيذ ميسور التحقيق . ولكن حب فعل الاستقبال وكره الفعل الماضى حال ( فعل ماض ) ويجول « فعل مضارع » دون تنفيذه . يتصل هذا

الوعد بشأن التليفونات عندنا ، لأنهم يستطيعون بقوة سحرية خارقة كالعادة أن يجعلوا هذه التليفونات تنطق من حين إلى حين . وفى اعتقادى أنه لو اجتمع الشياطين وجماع السحرة لعجزوا عن تحقيق هذه المعجزة . فإن القائمين بشأن التليفونات يعملون بأدوات يجب أن تعدم منذ سنوات طويلة . فلو أن هذه الأدوات ذهبت إلى بلد حديث لراح أهل العلم فيها يدورون حولها كأعجوبة من عجائب التاريخ ، ومع ذلك فهى تعمل عندنا . وقد أخبرنى المهندس مقبل البدرأوى أنه يحتاج إلى خمسين مليون جنيه وهى فى عرف الدول ليست مبلغا مهولا مخيفا . والتليفونات ليست شيئا تعود فائدته على أبناء مصر فقد تعود أبناء مصر أن يصيروا أنفسهم على الشدائد . ولكن المهم الآن هو هذا الانفتاح الذى يقع بأجمعه فى أفعال استقبال لا نهاية لها . لا يعقل أن يأتى راغب فى الانفتاح ويرفع السماعه ويجلس بجانبها ساعات حتى يصيبها الور . فالوقت عند هؤلاء ليس سلعة ملقاة على الطريق ، إنه يعنى مالا . والمال عندهم كميات ضخمة ليسوا على استعداد أن يضحوا بها فى سبيل ور التليفون المصرى .

ترى هل أسمح لأمل هزيل أن يداعب نفسى فيعلن وزير المالية أو وزير الخزانة بيانا مصدرا بفعل ( ماض ) تسلمت مصلحة التليفونات مبلغ خمسين مليون جنيه لإحياء آلة قديمة عندنا كانت فيما مضى تصل الناس بعضهم ببعض ، وأصبحت اليوم آتية لا تصلح حتى للزهور . . .

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١١٩

٢٥ أكتوبر ١٩٧٥

### شوقي في ذكراه

إن ذكرى شوقي هي كل يوم من أيام مصر ومن أيام العرب جميعا ،  
فهو أعظم شاعر أنجبته العربية وقد أحس هو بمكانته قدر ما عرف العرب  
هذه المكانة .

وحول فتية غرّ صباح لهم في الفضل غايات وسبق  
على لهواتهم شعراء لسن وفي أعطافهم خطباء شدد  
رواة قصائد فاعجب لشعر بكل محلة يرويه خلق

وتجد إحساسه هذا حين يقول في حفل تنصيبه أميرا للشعراء :  
رب جاري تلفت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه  
بعثني معزيا عاقي وطني أو مهتئا بلسانه  
كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه

وهكذا لم تغب عن شوقي المكانة التي تصدرها في العالم العربي ، بل  
هي في الواقع المكانة التي تصدرها الأدب المصري عامة في الأدب  
العربي . فطه حسين وهيكمل والحكيم والعقاد والمازني وتيمور والزيات ،  
وكل هذا الرعيل هو الذي أنشأ الأدب العربي ، وعلى مشكاة هؤلاء  
وجد الأدب العربي طريقه في الحياة .

وقد أنشأ شوقي المسرحية الشعرية ولم يطق أن يسير وراءه فيه إلا شاعر تتلمذ عليه وظل وفيما له إلى أن اختاره الله وهو المرحوم عزيز أباطة . ثم وقفت المسرحية الشعرية بالشعر الأصيل عن السير فى الطريق ، وراد الشرقاوى الطريق بعد العملاقين شوقي وعزيز بأعمال كثيرة وصلاح عبد الصبور بأعمال قليلة ، ولكن كليهما صدف عن الشعر الأصيل إلى الشعر الحر ، وربما كان مجال المسرحية والملحمة أصلح المجالات للشعر الحر . ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يسبق إلى الشعر الأصيل فى قوة جرسه وإحكام قافيته وموسيقية الكلمة فيه .

وعلى أية حال فإن مصر التى عدت عليها فترات سوداء من الأزمات المالية والاجتماعية والنفسية ، ولم تنكص عن مكانتها الثقافية بفضل عماليق الأدب هؤلاء الذين اكتمل إشرافهم بشوقي معجزة دهره ولغته ، وأننا لا نملك إلا أن نرثيه بقوله هو :

وما هو ميت ولكنه بشاشة دهر محاهها الزمن  
ومعنى خلا القول من لفظه وحلم تطاير عنه الوسن  
لو أنصف الصحب يوم الوداع دفنت كإسحق لمسا دفن  
فغيت فى المسك لا فى التراب وأدرجت فى الورد لا فى الكفن



- ١٥ -

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٢٢

١٥ نوفمبر ١٩٧٥

من أمريكا

تحيا مصر

وصلت إلى أمريكا قبل أن يصل إليها الرئيس يوم ، فكان من الطبيعي أن أكلّم ابنة عمى وزوجها الدكتور إبراهيم التزمى الطيب المشهور ، وكان قد ترك مصر فى تلك الأوقات التى جعلت مثله يتركون مصر . تبادلنا التحية وعرف الدكتور التزمى أننى لن أستطيع أن أذهب إليهم لبعدهم الشاسع عن المنطقة التى تدور الرحلة فيها ، وقبل أن تنتهى المكالمة وجدت الدكتور إبراهيم يهتف تحيا مصر ، ووجدت نفسى أهتف تحيا مصر . ومنذ هذه اللحظة وحتى الآن وأنا أكتب هذه الكلمات وأنا لا أتوقف عن الهتاف « تحيا مصر » . وقتلتها وأنا أرى رئيس مصر يستقبله الرئيس الأمريكى فى البيت الأبيض ويستقبله معه الرسمىون ووحدات رمزية من الجيش ، وأهم من ذلك جميعاً مجموعة كبيرة من الشعب الأمريكى وقد خصص لها مكان فى الاحتفال تلوح بالعلم المصرى والعلم الأمريكى لرئيسنا .

وهتفت بها وأنا أرى الحفل الذى أعده الرئيس الأمريكى فى البيت الأبيض وقد وقف الرئيسان مع كل منهما السيدة قرينته يستقبلون جميعاً ضيوف الحفل .

وهتفت بها وهتفت وأنا أرى الشعب الأمريكي جميعاً ممثلاً فى نوابه وشيوخه يستقبلون الرئيس المصرى واقفين جميعاً وقد أخذوا يصفقون له تصفيقاً لا يريد أن ينتهى ، حتى إن الرئيس السادات أخذ يشير لهم مرات أن يجلسوا وهم مستمرون فى التصفيق .

ثم هم يقاطعون مرتين بالتصفيق أثناء الخطبة . مرة حين قال إننا جئنا لا نريد مالا ولا سلاحاً وإنما نريد أن نوطد صداقتنا بالشعب الأمريكى . مرة حين قال إننا نمثل حضارة تمتد سبعة آلاف سنة فى أعماق التاريخ ، حتى إذا انتهى الخطاب نزل الرئيس قاصداً باب الخروج يحف به التصفيق الحاد والنواب على الجانبين يصففونه على غير معرفة شخصية ، ويصاحبه التصفيق حتى يخرج تماماً من باب الكونجرس وأهتف أنا وأهتف : تحيا مصر .

مصر التى . . . بذلت دماءها ومالها من أجل العرب جميعاً .  
 . . . مصر التى شمت على الإذلال ، وترفعت عن المهانة ،  
 وتكبرت على الجزوت . .  
 . . . مصر التى أنارت العالم العربى جميعاً بالفكر الأدبى والعلمى ،  
 ومازالت رفيعة المصاييح وضياء الإشعاع .

مصر التى شاء الله أن يمتحنها بفترة قاسية من عمرها ، فكذب عليها الهزيمة حين كانت تحارب فى ظل قيادة لا تنير الطريق ، حتى إذا تزعمها من يجبها ولا يحب نفسه ، ومن يريد لها الرفعة ولا يريد لنفسه التأله ، ومن يث الإيمان فى نفوس أبنائها المحاربين بالله وبها لا الشيطان ولا بنفسه ، احاربت حربها المنتصرة وخاضتها ضارية لأنها تريد السلام لنفسها وللبلاد العربية وللعالم .

## - ١٧ -

وقد كانت الأيدي التي تصفق في أمريكا تصفق عن مشاعر عرفت السلام الذي تريده مصر ورأته حين انتصرت مصر ، فلم تنكسر لأن الكبار يكبرون ولا يتكبرون ، وكانت الأيدي تصفق عن تقدير لرئيس مصر الذي يعمل في عظمة الواثق بنفسه وبوطنه العريق لا في جنون المتعاطف ، ولا في تشدق هواة الخطب ، ولا في عريضة المحاررين بالشعارات .

فتنان في أمريكا قتلها الغيظ من نجاح زيارة الرئيس السادات هما : الصهيونيون والفلسطينيون . لقد اتفق الصهيوئى والفلسطينى فى الولايات المتحدة وفى إنجلترا على مهاجمة الرئيس السادات . حتى لقد وقفت جماعة من كل منهما أمام فندق كلارديج بلندن حيث كان ينزل الرئيس يهتفون بلسان واحد وبلغة واحدة ، ولم يحلج الفلسطينيون ... إن كان الرئيس قد قبل أن يرضى الصهاينة فلماذا يهتف ضده الصهاينة !!؟..

وإن كان بتحركه هذا يغضبهم فلماذا يهتف ضده الفلسطينيون !!؟.. كيف يتفق السارق والمسرور . وكيف يهتف كلاهما بلسان واحد وينبض قلب كل منهما بمشاعر واحدة !!؟..

أم ترى كلاهما سارق .. إحدى الفتين سرقت دولة ، والفئة الأخرى تسرق أموال دول ، والتقت المصالح المتضاربة والتأم الشر والجشع واتفق النهب وقطع الطريق ، ونطق لسان واحد عن فتين تدعى كل منهما للأخرى بغضا . ونعيش كل من الفتين حياتها على حساب هذا البغض . فأما فئة الصهاينة فتدعى أمام أمريكا أن العرب يكرهونها فهي تريد السلاح والمال لتدافع عن نفسها ضد العرب ، وأما الفئة

الأخرى فتدعى أن فئة الصهاينة لا تريد أن تعيدهم إلى وطنهم ، فهم يريدون المال والسلاح ليقتحموا على الصهاينة الوطن السليب . ويصبح السلاح بعد ذلك سلاحاً على العرب ، ويذهب المال إلى متاجر الصهاينة فى لندن ونيويورك ... لا يهم إنما المهم ألا تنتهى القضية إلى سلام . فإن قبل زعيم عربى حبيب سلاماً فهم عليه حرب ، وإن اتفقوا فى ذلك مع الصهاينة . ؟ !!

... نعم وإن .

ولكن كبار الساسة فى العالم يدركون . وتقف أمريكا كلها تحيى الرئيس . وملتقى برجل الشارع فى أمريكا فنجدته متابعا زيارة السادات فى حب وإعزاز ... ويقول لى أحدهم وكنت معه على عشاء : إننا نرى فى وجه رئيسكم وجه رجل صادق ، حتى ليخيل إلى أننى لو التقيت به وطلب إلى أن أفعل أى شىء لفعلته دون تردد .

وبسألنا سائق السيارة الأجرة عن الرئيس وعن زوجته ، ويقول لنا آخر إنه سعيد أن الرئيس استقبل هذا الاستقبال من نواب أمريكا وشيوخها .

... وتبج الكلاب فى موكب السلام ، ولكن صوتها مخنوق بالباطل الذى تدين به وبالجشع الذى يملكها . وتعلو الكلمة الحرة البعيدة عن الغرض ، الرفيعة عن التملق ، المتأبىة عن السوقية . ونحيا مصر .

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٢٤

٢٩ نوفمبر ١٩٧٥

## ماذا عن .. المنابر ؟ وماذا عن .. الأحزاب ؟

لا أحسب أن اللجنة المركزية أو الاتحاد الاشتراكي جهة صالحة لإعطاء الرأى فى المنابر التى قد تتكون . فواضح منذ الوهلة الأولى أن هذه المنابر قد تجتذب كثيرا من الفاعلية لا يتمتع بها الاتحاد الاشتراكي . والقول بأن المنابر تتكون فى ظل الاتحاد الاشتراكي قول قد يجد الكثير من الجهد ليقنع به أحد . فكل منبر من هذه المنابر سيضم نفس الفئات التى تكون الاتحاد الاشتراكي . وهذه الفئات التى تكون الاتحاد الاشتراكي هى فى حقيقة الأمر المكونات الطبيعية لأى تجمع سياسى . فكل فئة منها لا تصلح بذاتها أن تكون تجمعا سياسيا مهما يكن الاسم الذى سيطلقه على نفسه هذا التجمع . ولا أعتقد أن هناك مرجعا غمى الشعب ليدلى برأيه فوق هذه المنابر .

وإن ذهب السيد رئيس الجمهورية إلى اجتماع اللجنة المركزية دود إخطار سابق ، هو فى ذاته إشعار أنه يريد رأى الشعب لا رأيا آخر . وفى اعتقادى أن الرأى الذى أدلى به السيد الرئيس عن هذه المنابر ، أدلى به كفرد من أفراد الشعب لا كرئيس للجمهورية ، وكأئنا أراد الرئيس أن يضرب المثل من نفسه للشعب جميعا أن يدلى برأيه .

— ٢٠ —

وقد حرص الرئيس منذ فترة أن يطرح أمر الديمقراطية على الشعب . وهو يعلم مسبقا أن الاتحاد الاشتراكي سيكون معارضا لأى صيغة للديمقراطية ، ولهذا لم يكن رأيه وحده كافيا ، بل كانت تستدعى فئات أخرى لتدلى برأيها .

والحقيقة أن صاحب المصلحة لا رأى له . والذين استفادوا من الفترة السابقة فائدة مادية شخصية هم إنما يدافعون عن البقايا الهزيلة من الفوائد الضارية التى جنوها من غياب الديمقراطية ، وهم حين ينزلون بعناصر تكوينهم إلى الشعب سيدرك الشعب عن أى منطلق يصدرن . لأن المفروض فى هذه المنابر أن تقوم حول أفكار واضحة جلية فلا يكون الأساس فيها أشخاصا أو مصالح .

ولهذا من العبث ، بل من المضحك أن يظن أحد أن الكلام عن الأحزاب معناه عودة الأحزاب القديمة ، بينما هذه الأحزاب لا تستطيع العودة حتى لو سمح لها أن تعود ، وما عليك إلا أن تلقى نظرة سريعة إلى أهمها لتعرف إلى أى مدى تستحيل العودة لهذه الأحزاب .

فحزب الوفد تكون ليقاوض الإنجليز . واسمه الوفد لأنه كان موفدا لهذه المفاوضة . ولم يعد هناك إنجليز ، ولم تعد هناك مفاوضة .

وحزب الأحرار الدستوريين انشق عن الوفد ليعارض « سعد » ويطالب بالجللاء مستقلا عن حزب الوفد . وسعد أصبح فى ذمة التاريخ ، وليس من المعقول أن يتكون حزب اليوم ليعارضه . والجللاء قد تم فلا داعى لوجود جماعة سياسية تدعو إلى الجللاء .

والهيئة السعدية انشقت عن الوفد لأنها عارضت النحاس ورات أنه مال عن مبادئ سعد .

والنحاس اختاره ربه وأصبح كقول شوقي .

وليس بنافعه الواصلو ن وليس بضائره من هجر

وسعد اليوم لا يحتاج إلى حزب يؤيده .

بقى بعد ذلك الحزب الوطنى . وهو الحزب الوحيد الذى رفع شعاراً « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » . وكنا ونحن فى الجامعة فى أربعينات هذا القرن نتساءل إذا تم الجلاء فقيم المفاوضة . ؟ وعلى كل حال قد تم الجلاء وأصبحنا فى غير حاجة إلى المفاوضة وإن كنا فى حاجة شديدة إلى الوطنية .

فالذى أتصوره إذن أن فكرة الأحزاب المطروحة هى قيام أحزاب لا عودة أحزاب .

واعتقادى - مع حرصى الشديد على الحكم الديمقراطى - أن الوقت الآن غير صالح لقيام أحزاب بالمعنى المفهوم . ولعل قيام المنابر الآن أصلح للفترة التى نمر بها بعد غياب الديمقراطية مدة أو شكت تقترب من ربع القرن . ونحن لا نريد أن نعود إلى نوع الديمقراطية الذى كان موجوداً قبل الثورة . فهذه أيضاً فكرة عجبية تطرأ على ذهن بعض الكتاب ، ويناقشونها كأنها حقيقة واقعة . بينما الجميع يعرف أنها كانت ديمقراطية ناقصة يعوق انطلاقها الإنجليز والسراى ، ويعوق انطلاقها فساد بعض الزعامات ، وبعض الكتاب المغرضين يتخذون من هذا الفساد مبرراً لفساد آخر فى الفترة الماضية . وهذا شئ مضحك . فإن

- ٢٢ -

الثورة قامت لتقضى على هذا الخلل فى حياتنا السياسية والاجتماعية ،  
فإذا وقع المتمون إليها فى خلل أشد وفساد أكثر إيغالا ، فاللوم أكبر .  
والأصل القانونى المعروف أن الخطأ لا يبرر الخطأ ، ولهذا نريد لحياتنا  
الديموقراطية الجديدة أن تقوم على أسس وأكرام الأطناب ،  
واعتقادى أن فكرة المنابر الآن إذا قامت حول أفكار واضحة بينة ،  
تستطيع أن تثر بنا من المرحلة التى نجتازها اليوم .



— ٢٣ —

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٢٥

٦ ديسمبر ١٩٧٥

## لا حياة لأدب بغير تراث

إن تراثنا الأدبي يشرف أى أدب ينتسب إليه ، وقد فشت بين شدة الأدب موجة تنأى بهم عن تراثهم الأصيل ، وولوا وجوههم شطر الأدب الأجنبى وحده .

ولشدة الأدب عذره فقد مرت فترة طويلة سيطرت فيها على الصحافة فئة تهدف أول ما تهدف إلى تحطيم التراث بادئة بالدين ، منتبهة إلى التراث الأخلاقى والاجتماعى ، واقفة ومطيلة الوقوف عند الأدب العربى محاولة أن تمحوه من سماء مصر ، ليمحى بعد ذلك من سماء الوطن العربى أجمع .

وهؤلاء الشدة كما يقول شوقى :

فراخ بأيك فمن ناهض يروض الجناح ومن أرغب

فاضطروا أن يصطنعوا ما ليس فيهم ، ويعتقوا غير ما يؤمنون به ، لتجد أعمالهم سبيلها إلى النور .

ولكن القارئ لم يقبل هذا فصيح مسار الأعمال ، فإذا هى تجد سبيلها إلى الظلام ، ويصبح هؤلاء الشدة فى عماية كاملة من الجهل والتجهيل .

ذلك أنه لا حياة لأدب لا يتسبب إلى أعراقه الأصيلة ، ولا يركن إلى أصوله العريقة .

فحتى القصة والمسرحية - وهما الوافدتان على التراث الأدبي العربي - لا سبيل لهما أن يزدهرا وتسمق فروعهما إلى السماء ، إن لم يكن الكاتب فيهما ناظراً إلى أدبه في أسلوبه ، وإلى وطنه في موضوعه .

وإذا نظرنا إلى الآداب الأخرى وجدنا الأدباء المحدثين جميعاً يدورون حول آدابهم القديمة . فشكسبير وديكنز وهاردي وغيرهم مازالوا أحياء بقوة وجيروت في الأدب الإنجليزي ، وكورنى وراسين وفولتير وبلزاك ودوديه وغيرهم مازالوا يتصدرون الأدب الفرنسى ، وتولستوى ودستيوفسكى وجوركى وغيرهم مازالوا أئمة الأدب الروسى رغم أنه أصبح أديبا سوفيتيا ، وانكمش من أدب عالمى إلى أدب محلى .

وقد كان نتيجة هذه الفترة الخالكة من تاريخ الصحافة المصرية والحياة المصرية جميعاً ، أن أصبحت كتب التراث عزيزة المنال فارتفعت أسعارها حتى أصبح الشاب لا يطيق أن يقتنيها . ولهذا رأيت حين توليت العمل بهذه الدار أن أعيد طبع بعض كتب التراث ما وسعنى الجهد ، وقد بدأت بكتاب البخلاء للجاحظ وقام الأستاذ عباس خضر مشكوراً بتحقيقه وهو الآن على وشك الصدور .

وحين تفاوضت مع الأستاذ عثمان غنيمى المدير المالى لمجلة الإذاعة حول سعر الكتاب ، حدث شئ غريب . حاولت أنا أن أبيع الكتاب بسعر التكلفة فإذا بالرجل الذى ينتمى إلى عالم المال والحساب يقول إننا نقدم خدمة عامة ، فلا بأس علينا لو خسرنا بعض الشئ فى البيع ، وخجلت من نفسى ووافقت المدير المالى أن نبيع الكتاب بأقل من ثمن

— ٢٥ —

التكلفة ، وسيصدر الكتاب فى جزأين متتابعين الأول فى شهر يناير  
والثانى بعده مباشرة .

ترى هل تستطيع دور النشر أن تعين على هذا الهدف فتشاركنا فى  
إعادة طبع التراث ، وإتاحته فى أسعار ميسرة إلى الطلبة وشداة الأدب ..  
لكم أرجو ذلك !

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٢٦

١٣ ديسمبر ١٩٧٥

## الحصان الذى نفق

## قصة قصيرة

لم يكن يسرى فقيرا فى القرية ولكنه كان تائها فى زحامها ، . محتقرا بين أهلها لا يشعر به أحد رغم جهده الجهد أن يشعر الناس به . فقد كان لا يترك وسيلة يذكر بها الناس أنه حى ، وأنه يسعى بينهم ، وأنه ليس نكرة من النكرات إلا سعى إليها حثيثا ، وقد كان يحصل دائما على هزء الناس والسخرية به ، إلا أنه لم يستطع قط أن يحصل منهم على ما يريد من شعور بوجوده وأنه حى .

ولم يكن غناه فادحا ، ولكنه - مع ذلك - كان يدعو إلى الولائم فى كثير من الأحيان . وكان الناس يلبون دعوته ، ولكنهم ما أن يأكلوا ويتركوا بيته حتى ينسوا أمره ، وكأنه لم يكن .

ولم يكن يسرى مؤمنا بالله وما كان يصلى ، ولكنه مع هذا حريص على أن يشهد صلاة الجمعة مرتديا أجمل ما عنده من الملابس لا ينسى رباط عنقه الأحمر ، مقتنعا أن اللون الأحمر هو أكثر الألوان استدعاء للأنظار . ولكن الأنظار - مع ذلك - كانت تأخذه فهو موجود بغير وجود ، حاضر خير منه الغائب .

وكان يسرى يحرص أيضا على أن يخطب الناس بعد كل صلاة جمعة . ولم يكن طبعا يستطيع أن يحدتهم عن عدم إيمانه فهو مع كل حرصه على

أن يذكر الناس بوجوده ، أكثر حرصا على أن يظل على قيد حياة . .  
أية حياة ولو أنه أطلع الناس على ما يعمل فى نفسه من عدم إيمان  
لأصبح موته بأيديهم أمرا محققا .

وإنما كان يسرى يخطب الناس فى وجوب إعطاء الفقراء والمساكين  
والإحسان إليهم ، ولكن لم يقدر له أبدا أن يكمل خطبة إلى النهاية التى  
يريد أن تنتهى إليها . فما هى إلا جملة وأخرى حتى يصبح المسجد فارغا  
من الناس أجمعين .

فما كان أحد من أهل القرية ليلقى إليه سمعا وهم يعلمون أن  
الإحسان عنده كلام ، والشفقة بالمساكين عنده شفقة ، وكفاهم دليلا  
على ذلك ما يعانيه منه عبد السميع ومحمد بن وشفيق الذين يستأجرون  
أرضه . فإن أحدا فى القرية لا يعانى من الفقر والذلة والهوان والقهر ما  
يعانيه هؤلاء الثلاثة الذين قدر لهم أن يكونوا أجراء عنده . ويا طالما  
عرضوا أنفسهم على الملاك الآخرين ، ولكن أحدا لم يستطع أن يغيثهم  
فالمستأجرون فى القرية يرثون الأرض عن آبائهم ، ولا يستطيع مالك بل  
ولا يجب أن يخرج أحدا من أرضه ليعطيها إلى آخر .

وقد ضاق محمد بن بمالك أرضه يسرى وضاق بالقرية جميعا فتركها ،  
وتسمت أرض الله فى بلاد الله ، ولم تعد القرية تعلم عنه شيئا .

وظل عبد السميع وشفيق يستأجرا أرض يسرى وحدهما ، بعد أن  
حاول أن يجد مستأجرا آخر بدلا من محمد بن فذهبت محاولاته سدى .

فالكلام منه إذن عن وجوب الإحسان خليك أن يجعل أهل القرية  
ينصرفون عنه وحتى إن لم يتوافر هذا السبب . فقد كان أهل القرية  
سينصرفون عنه أيضا لأنهم لا يشعرون أن له وجودا أو مكانا .

— ٢٨ —

كان هذا الشعور بالضيق والإهمال يملأ نفس يسرى ويجعل نفسه تفيض مرارة وحقدًا . فهو حاقد على كل غنى له بين القرية توقير واحترام ، وهو حاقد على كل متعلم يسمع الناس له في اقتناع وإكبار . وهو أشد حقدًا على المحترمين في القرية دون أن يكون لاحترامهم سبب ظاهر إلا أنهم محترمون ، ولعل بعضهم لم يصب من العلم إلا قليلا . ولكن أهل القرية يحترمونهم ويقصدون إليهم إن طلبوا الرأي ، وينزلون عنه عندما يشيرون عليهم به .

نار من الحقد تفتك به .. نار من داخله . لا سبيل أن يصل إليها شيء إلا ما يزيدا أواراً واشتعالا .

يخرج يسرى في كل يوم إلى ظاهر القرية ، وينظر إليها في كره شديد وألم عميق ومرارة قاتلة . ويظل قابعا منزويا كوحش كسير يحاول أن يتربص بأعدائه المصائب ، فتخذه الذلة ويقعد به الهوان . وبينما هو كذلك ، سمع جواداً يركض ويهز الأرض بأقدامه ، واقترب الصوت واقترب حتى تكشف عن الحصان وراكبه . . أما الحصان فمجنون أرعن ، وأما صاحبه فخائف هالع .

— أين أنا ؟

— لا أدري .

— ألا تعرف اسم القرية التي أنت منها ؟

— المنشية . . .

— من أين أنت قادم ؟

— لا شأن لك . . أتشتري هذا الحصان .

— ماذا ؟

— ٢٩ —

— ألم تسمع ؟ . . لا وقت عندي للدلع .  
حصان . . أيشترى هو حصانا . وما البأس ؟ . وأى شىء سيجعل  
أهل القرية يحسون به خيرا من هذا الحصان . . الحصان جاء . . الحصان  
ذهب . . ليس فى القرية من يملك حصانا . . ولكنهم لن يقولوا يسرى  
جاء أو ذهب . . الحصان فقط . لا بأس أيضا . . يكفى أن يذكرهم  
الحصان به .

— ولكن هذا الحصان مخيف . . ألا تراه لا يكف عن الحركة العنيفة ؟

— هذا دليل الحيوية .

— الكثير منها يقتل .

— أنت صاحبه . . اخدمه يخدمك .

— ولكن لماذا تريد أن تبيعه ؟

— أهو تحقيق ؟

— لعلك سرقة .

— وافرض .

— قد يراه صاحبه فأخسره .

— اسمع . الأمر المؤكد أن صاحبه لن يحاول أن يسترده .

— إذن فأنت صاحبه .

— هأنذا . . أركبه أمامك وأعرضه عليك ، ولا وقت عندي للكلام

الكثير ، أتشترى أم أمشى ؟

— كم تريد فيه ؟

واشترى يسرى الحصان وحاول أن يركبه ، فنفضه الحصان نفضة

عنيفة إلى الأرض أحس معها أن عظامه تنسحق ، فسحب الحصان

— ٣٠ —

ومشى يتكفاً حتى بلغ منزله فى عتمة من الليل ، وأدخل الحصان إلى حجرة نومه الخاصة . وذهب إلى حيث السكر فأحضر جميع ما فى البيت منه .

وبعد اسبوع أستطاع أن يركب الحصان بعد أن أنس إليه .  
وفعلا بدأت القرية تتكلم عن الحصان ، ولكنها — كما توقع يسرى — لم تتكلم عن يسرى .  
كان يسرى يربط الحصان فى الغيط مع جاموسه ويذهب إلى ما يبتغى من أعمال . وبينما هو جالس فى بيته . . إذا بشخص يعدو إليه .  
— يسرى .

— نعم .

— حصانك قتل عبد السميع .

— ماذا ؟

حاول عبد السميع أن يركبه فجرى حتى ألغاه فى التربة وأغرقه .  
وأصبحت الحكاية أحدى فى القرية لفترة طويلة ، ويسرى سعيد كل السعادة بموت عبد السميع الذى جعل الناس يتحدثون عن حصانه كل هذا الحديث .

فإن الحادث فى القرية شئ عظيم . فهو ريح شديدة العصف تمر على الماء الراكد من أثر الملالة . فالناس لا يجدون فى القرية ما يتحدثون عنه فإذا مر بحياتهم حدث كهذا أصبح تاريخنا يعتبر الذين عاصروه خالدين فى حياة القرية وتاريخها .



— ٣١ —

ولكن حصان يسرى لم يترك لهم فرصة طويلة يلوكون فيها حادث  
القتل الذى ارتكبه . بل هو يعاجلهم .

— يسرى .

— نعم .

— حصانك .

— ماله ؟

— فقاً عين عبد الشافى بن سعيد أبو عرايى .

— ماذا ؟

وفى هذه المرة يذهب سعيد إلى يسرى ويمسك بخنقه . مقسماً بأغلظ  
الأيمان بأنه قاتل الحصان أو قاتل يسرى . . ويتجمع الناس ويحولون بين  
سعيد ويسرى وتبدأ المفاوضات . ويسرى سعيد فقد أحس الناس به هو  
أخيراً . وهاهم أولاء يجتمعون حوله ويفاضونه ويفاضهم .

وتتوالى أحداث الحصان . فهو يقطع حبله ويعتدى على براسيم  
الآخرين . وهو ينطلق فى القرية فى جنون أحرق يكسر أرجل الناس أو  
أبوابهم . أو يوقع ما يعرشون به على بهائمهم . أو هو يعتدى على هذه  
البهائم فيجعل أصحابها يعودون بها إلى السكن . ولعل أشد ما ألم الناس  
من الحصان وصاحبه ما فعله الحصان بالمصلى التى أقامها أجداد أجدادهم  
هناك عند مجرى النيل . فقد دخلها الحصان فهدم قواعدها ومزق الحصار  
فيها . ولعل هذا الحادث بالذات هو أسعد ما سعد به يسرى حتى لقد  
أغدق فى مساء هذا الحادث على حصانه من السكر قلدراً لم يشهده  
الحصان من قبل .

## - ٣٢ -

أصبح يسرى هو شغل القرية الشاغل ، وأصبح الناس يتعدلون عن مكان الحصان قدر جهلهم . وألقى الحصان على القرية ظلا من الرعب ثقيلًا . وليس أفتك بالإنسان من الخوف ، ولا يزرى بالإنسان شيء قدر شعوره أن الذعر والهلع يحيط به من كل جانب . وما أشد الهول حين يكون العدو حيوانا أعجم لا يعقل ولا يفهم ، وإنما يخرب لوجه الخراب بلا هدف ولا فكرة ولا غاية ينتهى إليها ، ويسرى سعيد . فليمت الناس من الخوف أو من الغضب فلقد أصبح هو شيئا يذكر ، ومقصدا يسعى إليه .

وفى يوم صبحا يسرى من نومه وذهب مسرعا إلى حصانه . . بحده وعزه وأمله الذى تحقق ، وذكره الذى ذاع واسمه الذى انتشر . ماذا ؟ ما الذى جعل الحصان فى هذا الشكل الذى هو عليه ؟ لا يمكن . . غير معقول . . لقد مات الحصان . . مات . . كيف ؟ . . لا يهم . . أمسموما مات ؟ . لا يهم . . هل مات من كثرة السكر ؟ . لا يهم . . لقد مات . . أحس يسرى أن اسمه هو هذا الممدد جسداً من غير روح . . وعما قريب يصبح عدما بلا جسد ولا روح . . لا يمكن . . غدير معقول . . إن حصانى لا يموت . . إنه لا يموت . . لا يموت . . وفجأة انتفضت فى جسم يسرى المرارة التى اختزنها قبل أن يعرف الحصان ، وانتشر فى جسده الحقد الذى دفنه فيه طوال عهد الحصان ، ووجد نفسه يحمل الحصان الميت ويخرج به من البيت ، محطما باب البيت ، صارخا فى الناس وهو يعدو فى كل متجه . . . إنه لم يمت . إن حصانى لا يموت . . لا يموت . . لا يموت .

— ٣٣ —

وما هى إلا صرخات قليلة . . وخطوات أقل من العدو الأحمق  
العربيد المجنون حتى أنهار يسرى ومن فوقه الحصان يكتم أنفاسه القليلة  
الباقية .

واختلط الجسدان حتى لا يستطيع أحد أن يستبين أحدهما من الآخر.  
وقبل أن يدركه أحد تلحق روحه بروح الحصان الذى نفق ، ويتجمع  
حوله أهل القرية . ولا تلتقى نظرات ولا كلمات . وإنما يشيع أمن  
إنسانى فارق الإنسان فيهم حيناً ثم عاد .

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٢٦

٢٠ ديسمبر ١٩٧٥

## لا مسئولية بغير مساءلة

أكتب هذه الكلمات يوم الثلاثاء حتى تستطيع أن تلحق بالمطبعة المستعجلة التي تريد أن تفرغ من العمل قبل إجازة العيد . وقد سمعت في أثناء الأسبوع أن قرارات سوف تصدر تضم الوزارات التي تعمل في ميدان واحد في قطاعات تجمع بينها .

وقد تظهر هذه الكلمة بعد أن تكون هذه القرارات قد أعلنت . الواقع أن هذه القرارات في ذاتها خطوة إن لم تؤد إلى ما بعدها تكون غير محققة لما يراد منها .

فإنه من غير المعقول أن يتحمل رئيس الجمهورية وحده مسئولية الحكم في تفاصيله وفي خطوطه العريضة في آن معا . ولا بد أن تكون هناك جهات تحمل مسئوليتها كاملة . ولكم أرجو أن تحتفى من التصريحات الرسمية وغير الرسمية تلك الجملة التي لا يخلو منها بيان « حسب توجيهات السيد الرئيس » .

فإنه ليس من المعقول أن يتفرغ الرجل الذي يحمل مسئولية مستقبل مصر وحاضرها . بل ومسئولية جيل بأكمله لتفصيلات الوزارات ودقائق العمل في المصالح .

ليس من المعقول أن الرجل الذى كان يفاوض بالأمس فوررد وكيسنجر وويلسن والذى وجه المجتمع العالمى إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه فى قضية فلسطين وسلوكه فعلا . . . والذى يفاوض اليوم ديستان أن ينظر فى مشكلة الدقيق واللحم والأتوبيس والتليفون .

إن فرداً واحداً لا يستطيع أن يقوم بهذا . والعقل الذى يعد نفسه للكلام فى خطوط عريضة يصعب عليه ، بل يستحيل أن يفكر فى التفاصيل . على خطورة هذه التفاصيل وأهميتها فى الحياة اليومية للشعب .

وإليك موضوعاً تسمع عنه لا يجوز أن يحل مشكلته رئيس الدولة . بل هو من الواضح واليسر بحيث يجب أن يحله الوزير المسئول دون حتى أن يقول حسب توجيهات السيد الرئيس .

هل يصدق أحد أن التقارير الرسمية تقول إن بند الدقيق الفاخر يحظى وحده بإعانة رسمية من الدولة قدرها ٣٨ مليون جنيه .

ما الدقيق الفاخر ؟ . . إنه ما يصنع منه الجاتوه والكيك وما إلى ذلك .

ما أهمية ذلك لجموع الشعب ؟ . أليس عجيباً أن تنصرف الدولة اليوم بما ظلت الأجيال تسخر منه حين قالته مارى أنطوانيت عندما شكا إليها الشعب من عدم وجود الخبز فقالت : ولماذا لا يأكل الشعب الجاتوه؟

إن هذه الأصناف من الحلوى ليست ضرورة شعبية . ومن يريد أن ينالها يستطيع أن يدفع من أجلها الثمن الغالى إذا كان لا بد له أن يأكلها .

## - ٣٦ -

ويحظى اللحم بإعانة قدرها ٨ ملايين جنيه . ولعمري ماذا يفيد الشعب من هذه الإعانة . ؟

إن الذين يريدون أن يأكلوا اللحم عليهم أن يتحملوا غلاء ثمنه . لا بأس على الدولة أن تعين على غلاء اللحم فى المواسم وفى عيد الأضحى . أما أن تعين على غلائه بثمانية ملايين جنيه ليتمتع القادرون بأن يصبح اللحم أرخص لهم بقرش أو قرشين أو عشرة قروش فهذا تصرف لا أظن أنه جائز .

واعتقادی أن الأيسر والأقرب للمعقول أن تترك الدولة العلف حراً حتى يستطيع الكثيرون أن يربوا الماشية . فإن احتكار العلف يجعل التربية محصورة فى فئة واحدة ، هى الفئة التى أثرت ثراء فاحشاً فى السنوات الماضية ، وما زالت تثرى إلى يومنا هذا .

هذا كله كلام فى التفاصيل لا يجوز أن يرقى إلى رئيس الدولة . فإن الأعباء الملقاة على عاتقه فى كبريات المسائل تحتاج إلى جمع من الرجال لا إلى رجل واحد .

- ٣٧ -

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٢٨

٢٧ ديسمبر ١٩٧٥

## الديمقراطية هي الممارسة

عاشت مصر ما يقرب من عشرين عاما وكلمة الحاكم تثير الرعب والهلع فى نفوس أبنائها . وكان المصرى يتمنى فى خلال هذه السنوات أن يمر اليوم وهو بعيد عن سمع الحكام .

ثم أذن الله لمصر أن تتنفس ، وأصبحت الصحف تطالعنا كل يوم بشكاوى الجماهير وآلامها وآمالها . وأصبحت الصحف تنشر هذه الآلام والآمال . ولكن هل ينتهى دور الصحف عند هذا النشر .

قد يكون هذا مقبولا فى دولة لم تتعرض لما تعرضت له مصر طوال السنوات الأليمة الماضية . ولكننا اليوم كمريض طال به المرض ثم وافاه الشفاء فخطواته على الأرض متخلجة مزودة مهتزة .

والديمقراطية ممارسة قبل أن تكون دساتير وقوانين .

فحين نال شعب إنجلترا الديمقراطية فى الماچنا كارتا عام ١٢١٥ كال فعلا يمارس الديمقراطية ويريد لها أن توضع فى إطارها الشرعى .

والحكم عندنا اليوم يناشدنا أن نمارس الديمقراطية معتمدا على أن ما بينه - الحاكم - وبين الشعب هو الحب لا الحقد ، والرغبة فى البلوغ إلى الأحسن للشعب جميعا لا للحكام . ومن هنا فلدور الصحافة إذن أن تردم هذه الفجوة التى وجدت بين الحكام وبين الناس لمدة عشرين عاما .

لقد زالت الفجوة النفسية التى كانت تفصل بين الحكام وبين الشعب، وبقي أن تزول الفجوة الحقيقية التى تتمثل فى مصالح الناس من جانب وفى عدم معرفة الحكام بهذه المصالح من جانب آخر . والمفروض أن الحاكم دائما يرغب فى قضاء هذه المصالح بكل الجهد والقدرات المتاحة له .

ودور الصحافة المصرية وهو دور من نوع خاص تفرضه الظروف التى مرت وتمر بها مصر . . هو أن يجمع الحاكم والمحكوم وصاحب السلطان وصاحب المصلحة ، وبهذا تصبح الديمقراطية هى شعار فعلا حتى إذا صدرت بها التشريعات تكون التشريعات مجرد صياغة قانونية لحالة مستقرة .

يوم يشعر الشعب بذلك لن ينفى الخمسمائة من أصحاب الملايين ملايينهم ، ولن يشعر الفلاح فى غيطه أنه بعيد عن السلطان ، ولن يشعر العامل فى مصنعه أنه مبعّد عن حقوقه .

يومذاك يعرف كل مصرى أنه ينال حقه ، ولا يعجب أن يقع عليه الجزاء إن قصر . فلا أمل لنا فى انتعاش إن لم يصحب الجزاء الثواب والعقاب والمكافأة والحق والواجب . فقليما قالوا إن الحق والواجب كوجهى العملة لا يفترقان . فإذا أعطى كل مصرى الحق الذى له صح عنده أن يتحمل الواجب الذى عليه .

صادرين عن هذا رأى رأت مجلة الإذاعة أن تبدأ بدعوة مواطنين من شعب الدقهلية ليلتقوا بمحافظ إقليمهم يقولون ويسمع .



— ٣٩ —

يطلبون هم ويعد هو . وسيشهد هذا اللقاء مندوب عن المجلة سيكون عمله بعد ذلك أن يخبر الشعب بما أنجزه المحافظ من عود أو بما لم يستطع أن ينجزه والأسباب التي وقفت به عن هذا الإنجاز ، ونحن نبدأ الديمقراطية من هذا اللقاء . .

إنه خطوة المريض عاد إلى الشفاء ، فإذا سلمت بنا الخطوات وثبتت منا الأقدام أمكننا أن نسير . لأنه لا بد أن نسير ونسير بإذن الله .

## مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢٠١٢٩

٣ يناير ١٩٧٦

### أخبار . . وتعليق

تقدم بعض أعضاء مجلس الشعب للحكومة بالأسئلة الآتية :

١ - أسماء مكاتب الاستيراد والتصدير التى يديرها ويشترك أو يعمل فيها بعض الشباب من أبناء وأصهار بعض القيادات التنفيذية والسياسية . ؟

٢ - أسماء ٥٠٠ مليونير مصرى فوراً حتى يعرف مجلس الشعب من هم هؤلاء . ؟

٣ - أسماء من تقاضوا عملات فى الفترة ما بعد عام ١٩٦٧ . ؟

\* \* والأسماء فى ذاتها لا تعيننا فى شيء ، سواء كان ذلك فى شأن أقارب الوزراء أم المليونيرات . إنما يعيننا أن يكون قريب الوزير قد استغل هذه القرابة ، أو صاحب المليون قد استغل الشعب .

والحقيقة أن وجود خمسمائة مليونير بعد أن كانوا تسعة فى العهد الرأسمالى أمر لا بد معه أن نبحث عن هذا النوع العجيب من الاشتراكية الذى طبق طوال السنوات الماضية .

واعتقد أن الذى يعيننا ويعنى الشعب هو الطريقة التى وصل بها صاحب المليون فأكثر إلى مليونه فأكثر . ونحن نرى أن يصرف أعضاء المجلس همهم إلى معرفة الأسباب التى أدت إلى هذا الانفجار المليونى .

— ٤١ —

والقول بأننا محتاجون إلى أصحاب هذه الملايين غير صحيح فلا يجوز  
للسارق أن يستغل ما سرق بل لابد أن ينزل به العقاب .  
أما التجار الذين استغلوا قلة الاستيراد وأثروا فهؤلاء لا ذنب لهم .. بل  
الذنب على نوع الاشتراكية الذى أتاح لهم ذلك . وفى ظل الانفتاح لن  
يستطيعوا أن يعودوا إلى هذا الاستغلال . فليبحث المجلس إذن عن  
الموظفين الذين أصبحوا مليونيرات ولا شأن له بغيرهم لأنه لا جناح على  
غيرهم . . .

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٣٠

١٠ يناير ١٩٧٦

## سقط الصنم . . ولم تسقط القاعدة

أتصور أنه فى عهد عبادة الأصنام كان هناك فريق من الناس لا عمل له إلا أن يجلس بجوار هبل وغيره من الأصنام ، يرفع عقيرته بمعجزات الصنم وما يناله قصّاده من خير على يديه ، داعيا الناس أن يزدوا من الأموال التى يقدمونها للتمثال ، مؤكّدا أنهم كلما زادوه مالا زادهم خيرا ومعجزات ومنجزات .

وأتصور أنه حين أشرق النور وتهاوى الصنم ، لأن الأصنام لا تعيش فى النور . أتصور أنه بقى من الصنم قاعدة . وهذا الفريق الذى كان يعيش على النصب . والأكاذيب . والادعاء الباطل . والشعار الزائف ، والاحتيال المقيت . ويجد هذا الفريق نفسه بلا مورد يعيش عليه ، ولا ناس يحتال عليهم إلا قلة قليلة لا ترى إلا فى الظلام ، ولا تحيا إلا فى السرايب ، ولا تتنفس إلا العفن ، ولا تأكل إلا لحم البشر ، ولا تشرب إلا الدماء الآدمية .

ويدور فريق الصنم المنهار حول القاعدة المهیضة المحطمة ، يطلقون المباخر ويرفعون العقائر ، ويستجدون النفع الذى زال عنهم . فهذه القاعدة هى كل ما بقى منهم وبغيرها لا حياة لهم ، لأن حياتهم قامت أول ما قامت على هذا البهتان . ولو كانوا يملكون صنعة غير طبولهم

## - ٤٣ -

ومزَاميرهم التى كانوا يدقونها وينفخونها هتافا للصنم . وأصبحوا يدقونها وينفخون فيها نواحا عليه . لذهبوا إلى صنعتهم تلك ونسوا ما كان من أمر الصنم والقاعدة . ولكن من أين وهم عجزة إلا عن الهتاف . جهلة إلا عن الاحتفال . أغبياء إلا عن السلب والزور والغش والسرقة ؟ ولكل فترة زمن صنم يقيمه الناس من الدماء . ثم لا يلبث الناس أن يتبينوا مقدار ما امتص الصنم من كيانهم . ولهذا فلا بد لكل صنم أن يسقط وينهار : ولا بأس أن تبقى القاعدة حيناً يلف حولها هذا الفريق من نفاية البشر . ويمر الزمن بالتور فتمحى القاعدة كما امحى الصنم ، وتصبح النفاية عدما من العدم ولا يبقى إلا الإشراق والنور والضياء فإنه يمكث فى الأرض وفى السماء .

— ٤٤ —

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٣٥

١٤ فبراير ١٩٧٥

.. وفى أى شىء صدق ؟ !

أية غريبة أن يقال ما يقال . ؟ وما المال وقد سرق أمننا . ولص كرامتنا . وامتص دماء أبائنا . وأهدر على رمال سيناء شرف مصر والعرب وتاريخ أمة ومستقبلها . .

وفى أى شىء صدق حتى يصدق فى ذمته . ؟ !  
قال ارفع رأسك يا أخى . وحطم كل رأس فكر فى الارتفاع أو فكر فقط . وأبى أن يجعل أحدا من الناس أخا . بل أرغم الجميع أن يكونوا عبيدا له أوهم أعداء .

قال ديمقراطية : ثم فشا وحده مسعورا ، منفردا بالحكم ، مستولا وحده عن كل خفقة نفس فى البلاد .

وقال قضينا على الإقطاع ، فإذا بأصحاب الملايين فى عهد الرأسمالية كانوا لا يتجاوزون أصابع اليدين عددا ، فأصبحوا خمسمائة نتيجة لعهد ، ثروة الواحد منهم مهما تبلغ من الضالة تلتهم ملايين الإقطاع جميعا والإقطاعيين .

وقال ثورة بيضاء ، ثم أهدر دماء الشباب فى حروب اليمن وحربى سيناء من أجل مجده الشخصى ، ومن أجل خراب مصر فى دمايتها وماها وكرامتها .

وأسال الدماء فى خسة غادرة بجرمة وراء أسوار السجون  
والمعتقلات.

قال الشرف وهدد الرجال فى عفة زوجاتهم وشرف بناتهم  
وأخواتهم .

قال تكافؤ الفرص وأغدق الأموال على أبنائه ، حتى لقد كان الواحد  
منهم يلهو بقيادة طائرة لا يحلم أغلب الشعب أن يركبها مرة فى حياته ،  
وتقدمت ابنة له تفكر فى شراء أرض يتجاوز ثمنها مائة وخمسين ألف  
جنيه ، ولقب ابنه بالمليونير فى إذاعة لندن ، وسكب أموال الدولة على  
إخوته وعلى كلابه من ماسحى أحذيته ، ولاعقى نعاله . فهم ينبحون  
باسمه حتى اليوم وقد فجعتهم فيه الفاجعة . وزالت من أفواههم دماء  
الشعب التى أتاح لهم أن يمتصوها . تؤيدهم فى نباحهم فئة أخرى اعتدى  
عليهم فى المعتقلات وجعل زوجاتهم بلا موئل لطول حبس الأزواج  
ولحبس المال عنهم . ومع ذلك ينبحون باسمه مع كلابه النابجة .

لأن الحكم الجديد .

قال الله .

وقال الحرية .

وقال القانون .

ونفذ ما قال وانتصر .

فى أى شىء صدق . ؟ !

قال الرجل المناسب فى المكان المناسب ثم اختار أهون الناس وجعل  
منهم رؤساء على العمالة . ووضع فى أغلب المناصب رئيسا جاهلا لأن  
الجهلاء هم علماء النفاق ، فانهار العمل فى الحكومة وفى القطاع

العام ، وحين قال محافظ من علمائه : أعطى القانون إجازة ، رقى إلى وزير لأنه عبر عن شعار الدولة .

فى أى شىء صدق . ؟ !

دعا إلى الاشتراكية . وعاش ، وعاش خدمه والمحظوظون من أتباعه عيشة تتضاءل عندها عيشة الفجار من العاهرين فى الرأسمالية . فسمعنا عن فواكه تأتى بالطائرات ، وعن سيارات نقل تحمل الفراء والسجاجيد . ويعلن هذا علينا حين يغضب على الفاعل . ويستره علينا حين يترضاه ويضع رأسه تحت قدميه .

ألا إلى غير رجعة يا زمن الهمس والصراخ ، والنوم المفزع ، والقلق الشائع ، والخوف المبيد ، والعرض المباح ، والدم المسفوك ، والشرف الجريح ، والتاريخ الممزق ، والأمل المظلم ، واليوم الكالح ، والغد العبوس ، والحق المضاع .

ويقولون اكنموا على السرقات أن تذيع . فإنها ان شاعت أحجمت أموال العالم عن مصر والانفتاح . جهلوا الحقيقة . لن تأتى الأموال وأصحابها يعرفون أن اللصوص هنا تتخفى وراء الاستار تحمل معها التشكيك فى أمانة بلادنا . يوم تتكشف الحقائق ويعرف العالم أننا أصبحنا على الطريق القويم . شريفة أيدينا . واثقة نفوسنا . مطمئنا اقتصادنا . يأتى إلينا أصحاب الأموال شرفاء واثقين مطمئنين . والحق دائما بالدول أجدر .



## مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٣٦

٢١ فبراير ١٩٧٦

## مصر هذه . . هي التي ستبقى

على ضفاف نهرنا ولدت الحضارة وازدهرت أديان السماء ، وبقيت  
 فى أبناء هذه الضفاف شمخة الماضى ترتفع بهم عن أى حقد . وتسمو  
 بهم عن أى صعب ، وتمر الأيام وتحاول أن تطحن عزيمتنا فنطحنها نحن  
 بابتسامة على فمنا تلقى بها الحياة ، وكأننا نرى فى وجه الحياة ابتسامة  
 لا تخبو .

ونحن أبناء هذا الوادى لا نبيت إلا وشعاع من التفاؤل ينساب فى  
 نفوسنا . ترى الفتى منا فقيرا مهزولا معدما مهلهل الثياب ولكنه غنى  
 النفس بملأ الدنيا غناء وطربا كأن الدنيا ملك له . بل إن الدنيا كلها لا  
 تعنيه وفيه يعنى بها وهو يعلم أن الآخرة خير له من الأولى وأن سوف  
 يعطيه ربه فيرضى ؟

نرى السعادة فى كل شىء فإن لم نرها صنعناها بنفوسنا من إشراقة  
 شمس . من ندى على وردة . من حنين كروان . من زقزقة عصفور .  
 من اخضرار شجرة . من جمال غصن . من دعاء نخلة مشرئبة إلى  
 السماء . من ظل سحابة فى صيف . من دفء شعاع فى شتاء . من  
 نسمة طيبة فى قيظ ، من لقاء صديق ، من تحية ود ، من غروب شمس .  
 فيه أريح الغيب وفيه وعد بلقاء الغد .

— ٤٨ —

ثم ننام .

وننسى ما كان فى يومنا واثقين أن اليوم القادم خير من اليوم الماضى .  
وأن الحياة لا تستطيع أن تحمل لنا بين طوايا غيبتها إلا الحب لأننا فى  
أعماق أعماقنا لا نعرف إلا الحب .

إن تكن مرت علينا سنوات بدت فيها منا كثررة أو كراهية للعالم  
حولنا ، فالسنوات قد مرت ولم يبق إلا الأصيل من طباعنا الذى عبرنا به  
الأجيال إلى الأجيال .

وسنعبر به الأجيال إلى الأجيال .

بقيت مصر الحب .

مصر الحضارات .

ومصر المنتسبة إلى أديان السماء . .

بقيت مصر هذه . . ومصر هذه هى التى ستبقى .

— ٤٩ —

مجلة الإذاعة والتليفزيون

العدد : ٢١٣٩

١٣ مارس ١٩٧٦

### أنا أكتب

هذا القلم الذى أضرم أصابعى عليه تعود أن تنضم عليه أصابعى وحدها دون أن تتخللها أصابع أخرى . لا أستتبع إلا ضميرى ، ولا أستصفى إلا مشاعرى .

حر هذا القلم . ولذلك يعيش فى عهد الحرية صريحا لا يرمز ، واضحا يطلق الكلمة الواضحة بلا خبىء لها يتخفى وراء الحدث ، أو وراء الأشخاص .

عاش القلم الذى أضرم عليه أناملى فترة طويلة يرمز لا يبين ، يومئى لا يعلن . حتى إذا جاء العهد الذى نعيش فيه استبان لفظه وأعلن كلمته .

وها هو ذا الاتحاد الذى تنضوى المجلة التى أشرف عليها تحت رئاسته يعارضتنى ، ولكنه يطلق لى الحرية ويعلن رأيه واضح المخالفة لما أرى .

ولكننى مع ذلك لم أنقل ، ولم أرف ، ولم أصادر . ذلك لأن اتحاد الإذاعة والتليفزيون جهاز حر ، يعمل فى ظل حكم حر .

ورئيس حر .

بريد الحرية لمصر ، ولأبناء مصر .

لأنه يريد الجهد لمصر .

— ٥٠ —

مجلة الإذاعة والتلفزيون

العدد : ٢١٤٠

٢٠ مارس ١٩٧٦

## لا حقد اليوم

إن تكن قد وجدت الحقد فى عناصر التركة يا سيدى الرئيس ، فلا جناح عليك فقد محوته .

ليس فى مصر اليوم مصرى حاقد ، لقد استطعت بالحب أن تمحو كل ما كان فى النفوس من حقد . وما يتكلم واحد منا إلا من منابع الحب التى أصفيت ، ومن فيض السماحة التى أغدقت .

لقد عارضتك فى يوم ووقعت على بيان غضبت منه ، وأعلنت غضبك هذا أرفق ما يكون الإعلان . ثم ها أنت ذا تتيح لى أن أجرى قلمى فى حب مصر . ولا يفعل هذا إلا رجل يعرف كيف يمنح الحب ولا حقد مع الحب .

نسينا يا سيدى الرئيس ما كان . وأحبينا أيامنا مهما تكن شديدة لا أمل لنا اليوم إلا حب مصر . . . مصر التى لا تعرف إلا الحب . فى مصر الحب هذه يا سيدى نبتة من غرس النبوات تجعل شعبها ينسى ما يسىء ويذكر ما يسعد .

فى مصر الحب هذه نسمة مباركة من أنفاس الملائكة تجعلنا لا نطيق أن نحمل بين جوانحنا إلا الحب .

— ٥١ —

اختلف على حكمنا ناس وناس ، واحتلنا المحتلون ومر بنا التاريخ وئيد  
الخطو شديد المراس . ولكن ناس مصر لم يبق فى نفوسهم إلا الحب فى  
عراهم . الحقدة فترة فما هى إلا هنيهة فى عمر الزمن ثم إلى الحب نعود .  
إن تكن التركة المثقلة قد شملت الحقدة فيما شملت .  
فقد كان فيها أيضا الهزيمة وجعلتها نصراً .  
وكان فيها — كما قلت — العائلة العربية الممزقة فجمعت بددها  
ورأبت صدعها ورتقت فتقها .  
وكان فيها عالم يكرهنا من شرق وغرب فأرغمته على احترامنا ، ثم  
أحسن بالحب عندك فإذا هو يحبنا .  
أما الحقدة يا سيدى الرئيس فقد زال يوم أقفلت المعتقلات وأطلقت  
السجناء ، وأرسلت الكلمة حرة نظيفة تمرح مرتاشة الجناح فى سماء  
مصر الخالدة .  
سيدى الرئيس هناك بيت قديم لعزیز أباطة أحب أن أهديه إليك :

بك الدهر كفر عن ذنبه وألقى مقاليدہ واعتذر

- ٥٢ -

الأهرام - العدد ٣٢٦٤٨

٣٠ أبريل ١٩٧٦

## إن الكرام بحفظ العهد تمتحن

لا يستطيع أدب أن يعيش إذا قامت فروع له من جذور بعيدة عن تراثه . وكل أدب فى العالم يعيش فى ظل التراث الذى ينتسب إليه . فالأدب الإنجليزى ما زال يعتبر رواده الأوائل هم الآباء الشرعيين لفنون أدبهم الحديث على الرغم من أن المسرح والرواية والقصة فروع قديمة أصيلة فى الأدب الإنجليزى . إلا أن الأدب الإنجليزى ما زال يحتفل برواد فنه الأوائل ولا يتعالى عليهم ولا يقطع صلته بهم . ولكن الأدب العربى أصابته بآخره كبرياء مزيفة لا تعترف بالتراث ولا بالأصول الأصيلة لأدبنا .

ترى هل يتحلى أدباؤنا الشباب من تراثهم أنه كان خلوا من الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ؟ وهل يعتبر الشباب الاهتمام بالتنبيى والبحترى وأبى تمام حتى البارودى وشوقى الخالد نوعا من الرجعية والجمود ؟

هل هؤلاء الشعراء وشعرهم يمثلون فكرا متخلفا لا يجوز للنابهين الأذكياء الرافضين لكل أصل قديم أن ينظروا إليه أو يستلهموه أدبهم أو يثروا أسلوبهم بأساليبه ؟

ألا يستطيع هؤلاء القافزون إلى العبقريّة من شبيبة الأدباء أن يعرفوا تراثهم ويستفيدوا منه ، ليطوروا أدبهم بعد ذلك ويسيروا به فى الآفاق الواسعة التى يريدون أن يروودوها ؟

وهل هذا الرفض من الشباب وليد دراسة أم وليد جهل أم وليد تسرع للشهرة دون دراسته ؟

زارتنى أديبة إنجليزية منذ أعوام ودعوت شابا من هواة الأدب أن يكون معنا ، فكانت الأديبة الإنجليزية تكلمه عن المتنبي وشوقي وبديع الزمان . . ويكلمها هو عن شكسبير وإليوت وديكنز حتى لم تستطع الأديبة الإنجليزية آخر الأمر أن تتمالك نفسها فقالت له « لك أن تكلمنى عن أدبائى ولكن بشرط أن تكون قد درست أدباء لغتك أولا . فأنا لم أجرؤ على دراسة الأدب العربى إلا بعد أن فرغت من دراسة الأدب الإنجليزى وامتحنت فيه ونلت شهادتى » .

والواقع أن الأدب العربى إن لم يعتمد على تراثه فى كل مناحى فنونه فمصيره أن يذوى ويفنى ويصبح بلا وجود .

فنحن إنما نكتب الأدب العربى للشعب العربى . ويستطيع القارئ فى العراق وسوريا والأردن أن يفهم عنا نحن الكتاب المصريين وأن يدرك المشاعر التى تموج بها نفوسنا وأن ينبض نبضنا ويتنفس الهواء الذى نتنفسه .

أما القارئ الأوروبى فهو بعيد كل البعد عن لغتنا وعن مشاكلنا ، وإذا قرأ عنا فقراءته ستكون قراءة جغرافية أكثر منها قراءة أدبية ، فالأدب مرتبط بلفظه بقدر ما هو مرتبط بمضمونه . ولقد فهمنا نحن الآداب الغربية لأننا منذ الطفولة على صلة بحياة الناس هناك ، ولأنهم هم

رواد الرواية والقصة والمسرحية وكان لابد لأشكالهم الفنية فى هذه المجالات أن تفرض نفسها علينا . أما نحن فإنهم لا يكادون يعرفون عنا شيئاً فإذا قرأوا فليتنظروا كيف يعيش هؤلاء الناس الذين يسمون عرباً . فالارتقاء على أدبهم وطريقة تفكيرهم الأدبية ، والحرص الشديد على تقليد أسلوبهم دون الانتماء إلى تراثنا يجعلنا أشبه بالقروء فى نظرهم وفى نظر قرائنا على السواء .

وإنى لأعجب من الأدباء الشبان حين أسمعهم يقرأون قصصهم فى الإذاعة أو فى الندوات العامة ، فأجدهم لا يكادون يقيمون كلمة عربية صحيحة . وقد اتخذ أغلبهم أسلوب الجمل القصيرة الرقبة فى قصصهم فأعفى نفسه من التركيب العربى للجمل ، وهو مع ذلك عاجز عن نطق جملة الأعجمية .

وإنى لأحس فى كثير مما أقرأ من الأدب الحديث أن الأديب من هؤلاء يريد أن يقول شيئاً ولكن الكلمة لا تكاد تسعفه ، ويوشك لولا الخجل أن يقولها فى لغة أجنبية . . بل إن بعضهم لا يخجل ويفعلها . وأنا أعرف أن المدارس المصرية لم تعد تهتم باللغة العربية الاهتمام اللائق باللغة التى نعيش بها . ولكن الأديب الذى يريد أن يصبح أديباً لا يجوز له أن يعتذر بذلك فإن عليه أن يعلم نفسه اللغة التى يريد أن يصبح أديباً من أدبائها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالدراسة العميقة للتراث العربى من شعر ونثر ، ثم عوداً إلى العنوان إن الكرام يحفظ العهد تمتحن . . ثروت أباطة



— ٥٥ —

الأهرام — العدد ٣٢٦٥٣

٥ مايو ١٩٧٦

## نحن أقوى من الحياة

ليس فى مصر من لا يعلم أن هناك أزمة جارفة تحيط بنا سواء كان ذلك متمثلاً فى عدم توازن دخل الفرد مع متطلبات الحياة ، أو كان ذلك فى الخدمات العامة . ومن المضحك المبكى أن تقدم الجرائد كل يوم دليلاً على ذلك كأن الأمر مازال يحتاج إلى دليل . ومثل ذلك يقبل إذا كان المسئولون لا يعرفون ذلك ويحتاجون إلى من ينبههم إليه . ولكن الشواهد جميعها تدل على أن المسئولين أكثر علماً منا نحن أفراد الشعب بهذا الانهيار الذى نعانيه . ولذلك كان صديقى محققاً حين سألنى : اكتبوا لنا ماذا علينا نحن أفراد الشعب أن نعمل ، ولا عليكم من الماضى فقد عرفنا ما كان فيه . ولا عليكم أيضاً من هذه المتاعب اليومية التى نعانيها فى الرزق أو فى الخدمات العامة ، فكل فرد منا أدرى بأزمته من الآخرين . إنما وظيفتكم الآن أن ترشدوا الناس كيف يواجهون حياتهم اليومية تلك .

هو محق فى هذا الطلب ، لأن الناس تعودوا أن يطلبوا النصيح ليسخروا من الناصح . أو ليعملوا عكس نصيحته .

إن كل فرد فى الشعب المصرى يعرف كيف يواجه يومه ، وهو لا يحتاج فى ذلك إلى نصيح أو مرشد ، وأكثر ما يثير ضحكى وألمى معاً كلمة التوعية العامة التى أصبحت منتشرة الآن بشكل يدل على الجهل

الفاضح بنفوس الناس . ولأضرب بذلك مثلاً من هذه الإعلانات الساذجة التي تدعو إلى تحديد النسل . كأن الناس يعرفون أنه كلما جاء لهم طفل جديد فتحت لهم أبواب جديدة من الإنفاق . وكم أتمنى أن أعرف إحصاء عما أحرزته هذه الجماعات وهذه التوعية من نجاح فى تحديد النسل . وإنى واثق من النتيجة .

إن الناس لا تحتاج إلى من يرشدهم كيف يتغلبون على الأزمة ، ويكفيك أن تلقى نظرة على الوجوه . إنها لا تعبر مطلقاً عن مقدار الأزمة التى تعانيتها . يبدو أن فى داخل كل فرد منا جهازاً يجعل الإنسان يتكيف مع واقعه ويخلق للأشخاص أبواباً من الأمل ولو كانت وهمية ، إلا أنها قادرة على جعله يتقبل الحياة كما تدور به الحياة .

والمثل العامى المعروف يومئذ إليك إلى أى مدى يستطيع المصرى أن يسعد من داخله مهما تكن الظروف المحيطة به : « كل موال ينزه صاحبه » . لكل مصرى موال ينشده أو تتغنى به نفسه ، فيرتد إليها هذوؤها وتشيع فيها الطمأنينة ويتسرب الأمن إلى حناياها ويحيا الناس .

قد يكون موال بعضنا بسمة طفل ، أو تهريج مهرج فى التلفزيون ، أو حديث سخيف فى الإذاعة ، أو شعور لا معنى له بالصحة والعافية ، أو أى شئ قد لا يخطر على بال أحد أنه يسبب أى سعادة . فالنفس البشرية عجيبة فى قلب الأشياء إلى مصادر للرضى والهناء . إن الشعب المصرى الذى مرت به هذه الظروف الطاحنة أصبح يستطيع أن يصدر إلى العالم أجمع فى شرقه وفى غربه ، فى بؤسه المادى وفى ثرائه الفاحش شيئاً لا يملكه هذا العالم الواسع العريض هو السعادة . السعادة التى تنبت وتنمو وتتفرع وتزدهر داخل النفوس بلا تعقيد ولا ثراء ولا مواصلات

— ٥٧ —

هائلة ولا تليفونات صالحة . إنها سعادة بلا معنى ولكن لها مصدر نعرفه  
نحن المصريين ولا يعرفه غيرنا من شعوب الأرض . إنه الإيمان العميق فى  
خلايا تاريخنا وفى كل أنحاء نفوسنا . ونعيش ونضحك . ولتدور بنا  
الحياة حيثما تريد أن تدور فنحن دائما — كنا ومازلنا وسنظل — أقوى  
من الحياة .

الأهرام - العدد ٣٢٦٥٥

٧ مايو ١٩٧٦

## العدالة والقانون . . . وحرية الكاتب

فى ظل حرية الصحافة تختلف النغمات . فيقبل الناس على ما يكتب الكتاب . فإن توحدت النغمة أصبحت طبلًا أجوف يملأ الهواء ضجيجًا ولا يسمعه أحد . ويصبح الكلام رخيصًا ولا يحترمه من يستقبله . والقلم أمانة ، وويل لكاتب يخون أمانة قلمه . إن أبسط ما ينزل عليه من عقاب أن ينصرف عنه القراء ، ولا كاتب بغير قراء .

وليس كاتبًا مصريًا من يتغيا غير مصر غاية ، لها حياتنا ولها غوت ، وباسمها نجوب الدنيا شم الأنوف مرفوعى الهامات أباة كراما .

لأننا نحيا نقول رأينا تأييداً أو معارضة . ولمن يقرأ ما نقول أن يحكم عليه وله - بطبيعة الحال - أن يختلف معنا أو يتفق . فالكاتب لا ينزل للناس ولا يدهن مشاعرهم وآراءهم أجمعين . وإنما هو يستوحى ضميره فيما يكتب ، وضميره هو الحقيقة الوحيدة التى يستطيع أن يطمئن إليها . وقد يغضب بعض الناس . وقد يرضى بعض آخرون ، ولكن المهم أن يكون الكاتب صادقاً مع نفسه ، وحيث سكون صادقاً مع الناس . فإذا اختلفوا مع الكاتب فى رأى فسيزلزلون على احترامهم له . فإن شعر إنسان ما أن الكاتب اتهمه بما ليس فيه ، فالقانون هناك ينتصف لمن ظلمه قلم الكاتب ويرد إلى المعتدى عليه كرامته أنصع ما تكون لإنها حيث سكون بريئة نقية بحكم القضاء الذى لا يتحيف ولا يطلق الأحكام إلا بعد إعمال الرأى النزيه البعيد عن الغرض والعواطف جميعا .

ولذلك فإنه لا حرية بلا قانون . الحرية بلا قانون فوضى . وفى ظل الفوضى تستطيع أن تعتدى على الآخرين ، ولكن الآخرين أيضا يستطيعون أن يعتدوا على حريتك وعلى كرامتك وعلى مالك وعلى كل ما تقدسه . فالفوضى لا تقلس شيئا ولا تنتهى عند أمد .

والحرية المعتمدة على ركيزة القانون تجعل الكاتب يحس أن أصابعه طليقة حول قلمه ، لا يحيط بها إلا القانون العام الذى يحميه كما يحمى خصومه ، وبغير الحرية لا فن وخاصة فى الأدب لأنه مرتبط بالكلمة ، والكلمة لا تتنفس الحياة إن لم تكن حياة حرة طليقة . وهى لن تعيش فى ظل القهر أو الإرهاب . إنها إن ولدت مع قهر أو إرهاب ولدت ميتة لا قيمة لها ولا وجود . والكلمة الميتة قتيل يعلن قاتلها عن جريمته ويشهر بنفسه ليصبح أمام الناس قاتلا محقرا ، لأنه ارتكب جريمته دون أى مبرر من خلق أو شرف ضمير .

والكلمة الحرة إذا تنفست الحياة وعاشت ، ظلت تطن فى آذان الزمان إلى أبد الأبدى . ولهذا كان الطغاة يخشون الكلمة أكثر مما يخشون الجيوش . فحين اجتاحت الطغاة العالم حرصوا على إحراق الكتب ، لأن الكتب كانت تخيفهم وترعبهم وهم الذين كانوا يخيفون العالم ويملأونه رعبا ، وكما خافوا الكلمة كانوا يخافون القانون ، لأنهم أمام القانون ليسوا أسماء وإنما هم أشخاص . ولهذا ترسم العدالة معصوبة العينين وإن كانت مبصرة ، فهى ترى الحق وتعطيه لصاحبه ولا يعينها من يكون ومع العدالة والقانون تعيش الحرية دائما فى وئام .

ثروت أباطة

## من مفكرة : ثروت أباطة « كن مصرياً واعتق ما شئت »

نشأت فكرة العقد الاجتماعي عند روسو . والفكرة في مجملها تقول إن هناك عقداً غير مكتوب بين الفرد والدولة ، ويتنازل فيه الفرد عن جزء من حقوقه لتضمن له الدولة الحقوق الأخرى ، فهو يقدم لها ضريبة الدم متمثلة في الخدمة العسكرية الإجبارية لتحفظ عليه دماءه ودماء من يعولهم ، ويقدم ضريبة المال لتحفظ له الدولة بقية ماله ، ويقدم ضريبة الحرية بإطاعة قوانين الدولة لتحفظ له الدولة حريته . وبناء عليه يكون الفرد حاملاً لعبء المجتمع كله مقابل ما يسبغه عليه المجتمع من أمن وحرية . ويقول رجال القانون إن الحق والواجب كوجهي العملة لا يفترقان .

فليست الدولة إذن مكاناً مباحاً يقيم فيه من لا يطيع قوانينه ولا يرضى حرمانه ولا ينظر إلى صوالحه . إنه مكان تتعلق به حياة الإنسان الذي يؤدي له ما عليه من واجبات . فإن خان هذه الواجبات سقطت حقوقه ، وجاز للدولة أن ترفضه فرداً من أفرادها وجزأها أيضاً أن تحجب عنه الجنسية وتتركه هائماً في العالم بلا وطن . وفي داخل الدولة تختلف الآراء ، ويجب أن تختلف . لكل إنسان في الوطن أن يختار المذهب الذي

يعتقد أنه يحقق أكبر فائدة لبنى وطنه . ولكن هذا الاختيار لابد أن يكون منبعثاً من حبه لوطنه ، وهادفاً إلى مصلحة أبناء هذا الوطن .

أما إذا تلقى الفرد مذهبه من دولة أخرى أيا تكون هذه الدولة ؟ وإذا اعتنق مذهبه هذا لا لشيء إلا لأن دولة ما تريد له أن يعتنقه ، فحيثما يصبح هذا الفرد غير مصرى وتسقط حقوقه جميعاً . فنحن حين نؤدى للدولة ضريبة الدم والمال والحرية ؟ إنما نغير بذلك عن إخلاصنا للوطن تعبيراً مجسماً . لأن الإخلاص للوطن مفروض فى كل مواطن ، لا يحصى عنه إلا حين يبدو من المواطن غير ذلك .

وبعض المواطنين ينتهزون فرصة الحرية ويلقون أسماءهم ورعا أيديهم إلى بلاد أخرى . هؤلاء ليسوا مصريين . وهم أشد خطراً على المصريين من الأعداء الصرخاء . فالعدو الصريح تعرفه وتستطيع أن تتقيه وتستطيع أن تهزمه .

أما المصرى الذى يعيش فى نسيج الشعب المصرى وينتمى بمشاعره وولائه إلى غير شعب مصر ، فلا سبيل إلى اتقائه فهو عدو يتخفى فى دماء المصريين ، وحين يكشف أمره يكون قد خرب ما خرب ودمر مدمر .

كن مصرياً واعتنق من المبادئ والمذاهب ما شئت . واجهر برأيك ولكن فقط اجعل رأيك ينبع من أعماق قلبك المصرى ومن إخلاصك لوطنك لا لشيء آخر ، مذهباً كان هذا الشيء أو دولة أو فرداً .

## الليل ومحطة القذافي

حين يخلو بك الليل قد لا تجد ما تفعله إلا أن تعبت بمؤشر الراديو ،  
وفي الظلام لا يرى المؤشر طريقه وقد يقف حيث لا يريد . فلم يكن  
غريباً أن أجد محطة القذافي تطل من الراديو .

عجيب أمر هذا القذافي فهو ديكتاتور كأوضح ما تكون صورة  
الديكتاتور . يستأثر بالحكم وحده بلا نصيح ولا مشير . ويقذف الرعب  
في قلوب الأحرار من بنى وطنه . وهو بحكمه المتشنج يرغم أهل الرأى  
والكفاءة أن يتركوا البلاد إلى غير رجعة . وهو لا يسكت عنهم فى  
البلاد التى لجأوا إليها . يخاف أن يكشفوا من أمره ما يريد أن يستره  
فيتعقبهم بقابض الأرواح والأموال . ويدبر مع القتلة المحترفين مؤامراته  
فى اغتيال للزعماء الذين يكرمون أنفسهم عن إطلاق الشعارات الكاذبة  
ورفع اللافتات الخادعة والذين لا يرح بهم الشوق العارم إلى الزعامة  
العربية .

ولا شك أن المال الذى يجرى بين يديه يجعله يتصور أنه بماله لا بد له  
أن يكون زعيم العرب أجمعين . فأمثاله من الزعماء الشغوفين بحب  
العظمة لا يفكرون فى خير بلادهم وإنما يفكرون فى أمجادهم الشخصية  
ولتذهب بلادهم إلى الجحيم .

وينسى هؤلاء أن المال الذى يدمرون هو مال بلادهم وليس  
ما لهم هم . وإن هذا المال يجب أن يستثمر ليعود على بلادهم بالتقدم  
والازدهار .

ينسون هذا جميعه أو يقصدون أن ينسوه ليذكروا شيئاً واحداً هو أن  
يوسعوا رقعة زعامتهم المزعومة ، مهما يحل ببلادهم من دمار .



وفى سبيل هذا تسفك الدماء وتنهار الدول ، وتستشرى الفتن وتخطم الوحدة ، ويهدم الكيان العربى الذى التأم شمله وارتأب صدعه فى حرب رمضان .

ويزداد القذافى غضبا حين ينتصر الزعماء الآخرون بالعمل لا بالألفاظ ، وبالحرب لا بالهتاف ، وبالدم لا بالصراخ .  
ولذلك فمصر تنال من أدبه واهتمامه أوفى نصيب ، فهى أشد الدول إثارة لمكنون صدره لا لشيء إلا لأنها انتصرت .

كان يجب عليها أن تنهزم حتى يرضى القذافى وأعوانه والمتحدثون بآماله وأمواله ، والراكيون حصانه بعد أن نفقت من تحتهم الأحصنة الأخرى . فهم يعجزون أن يسيروا فى زحام الناس إلا بخيل الآخرين ، فإن عزت الخيل فلا بأس بالحمير يتوكأون عليها ويهتفون بنهيقها ، وقدماً قال الحكيم العربى « الذليل بغير قيد متقيد ، كالكلب إذا لم يسد بحث عن سيد » .

\* \* \*

### الخبرة والإدارة :

صديقى رجل عالم تخرج فى كلية العلوم وكان فيها من النابهين ، فأبى أن يقف به العلم عند شهادة التخرج فأخذ سمته إلى إنجلترا وظل بها حتى حصل على الدكتوراه فى صناعة الأقمشة . وعاد إلى القاهرة .  
إلى هنا وإخالكم ستكملون أنتم القصة وتقولون أى جديد فيما ستروى ؟ لا بد أنه عاد ليجد نفسه معيئاً لمصنع للسيارات ، أو فى الإدارة القانونية لإحدى المصالح الحكومية أو الشركات .

والعجيب أننى سأخلف ظنكم ، فإن صاحبي قد عاد ووجد مكاناً فى شركة من شركات النسيج ، وعين خبيراً فنياً فيما تخصص فيه . وقد شاء الحظ أن يقف إلى جانبه مرة أخرى فوجد رئيس الشركة زميلاً له رافقه فى المدرسة الثانوية ، ثم انشعبت بهم الطرق فدرس صاحبي فى كلية العلوم ودرس زميله فى كلية الآداب قسم تاريخ .

طبعاً اندهش صاحبي حين وجد شركة النسيج تضع على رأسها متخرجاً فى كلية الآداب قسم تاريخ . فهو فيما تعلم فى القاهرة أو إنجلترا لم يدرس أن هناك صلة ما بين التاريخ وصناعة الأقمشة . ويقول لى : حتى إذا كان هناك تاريخ لصناعة النسيج ، فأنا أعتقد أنه ليس ضمن برنامج كلية الآداب قسم تاريخ ، فما أعتقد أن قسم التاريخ يدرس تاريخ الصناعات وإنما يدرس تاريخ الدول . المهم أن فرحتى بوجود زميلى جعلتنى أتغاضى عن هذا التناقض ، وفرحتى بعملى جعلتنى أنصرف إليه بكل خبرتى .

بدأت عملى وإذا بصديقى ورئيسى يريد أن يتدخل فى أدق خصائص عملى ، ودهشت أول الأمر .

نعم هو أنيق . وهو لا شك ذو خبرة واسعة فى اختيار لون القماش الذى يفصل منه حلته ، واختيار لون القميص الذى يتماشى مع هذه الحلة ، ثم هو ذو خبرة فائقة فى اختيار الكرافة التى تواكب الحلة والقميص جميعاً . ولكنه من المؤكد لا يستطيع أن يعرف مم صنعت الحلة أو القميص أو الكرافة .

ولا تقل لى أى عجية أن يتدخل رئيس فى أعمال شركته ، فهو يعلم كما نعلم — وإن ظن أننا لا نعلم — إنه وصل إلى منصبه هذا بوسائل

بعيدة كل البعد عن إتقان صناعة النسيج وهو يعلم - ويظننا لا نعلم - أنه عين أول ما عين بهذه الشركة لأسباب لا تتصل مطلقاً بخبرته فى النسيج وإن كانت وثيقة الصلة بخبرات أخرى يستطيع كثير من الناس أن يتقنوها ويعف كثير آخرون أن يتخذوها وسيلة فى الحياة .

فصديقى خبير من أكبر خبراء فن النفاق ، وهو فى نفاقه يستغنى تماماً عن الحياء . ولم يكن عجباً أن يجد أذناً تصغى لنفاقه لأن هذه الأذان نفسها كانت معينة فى مناصب وصلت إليها بخبرة النفاق وامتهان الكرامة ، ولا صلة لها بإتقان العمل أو الخبرة فيه .

وأرى فى عينيك سؤالاً وأى عجيبة فيما تروى ؟ .. نعم أنا أحس أنك تسخر منى فى نفسك قائلاً : لقد غاب الفتى فترة خارج البلاد وعاد إليها لا يدرى من أمرها أمراً . هون عليك ولا تعجل بالتذكى والتحليل .

كل هذا الذى رويت ليس عجباً . ولكن كان من المنتظر أن يعرف صديقى حقيقة خبرته ويترك الأمور تسير فى شركته بخبرة الآخرين وذكائه هو . فلا يتعرض لما لا يفهم حتى لا ينكشف أمام أهل الخبرة ، وهذا يتمشى تماماً مع بعض الذكاء الذى يجب أن يتوفر عند المنافقين .

وأحس رئيسى ما يدور فى نفسى من سخرية بجهله ، فزاد على جهله تعالى والتعاضم مصراً أن يذكرنى دائماً أنه رئيسى وأنتى مرؤوس ، فسكربتيرته تمنعنى من الدخول ، وحين أحتال على ذلك وأطلبه بالتليفون تأبى أن توصلنى به ، مدعية أنه مشغول بوفد أو اجتماع ، أو بما شئت من هذه الحجج التى لا تتقن السكرتيرات غيرها مع الابتسامة الإكليشيه الباردة ، فإن رجوتها أن يطلببنى حين يفرغ من وفده أو اجتماعه أو ما

— ٦٦ —

شاءت أن تختلقه له من معاذير ، وعدت في أدب مصطنع ثم لا طلب .  
والعمل يحتاج إلى التشاور ولكن كرامة العالم تحول دون ذلك .  
وأنا في حيرة .

وانصرف صاحبي بعد أن ألقى إلى بحيرته . وتسالني أنت أيها القارئ  
ما اسم الشركة وما اسم الرئيس . لا إله إلا الله . أتريدني أن أصرح لك  
بكل شيء . ألا تعرف الأدب الرمزي أيها القارئ . لاشك أنك تعرفه  
فقد مرنت عليه سنوات طوالا . وما عليك لو أنك وضعت كلامي هذا  
في إطار الأدب الرمزي . فإنك بذلك تستطيع أن تطبقه على من  
شئت ..

ثروت أباطة

— ٦٧ —

الأهرام — العدد ٣٢٦٦٢

١٤ مايو ١٩٧٦

## التعليم مسئولية الدولة والثقافة مسئولية الفرد

كان لى قريب شاعر هو المرحوم توفيق عبّوضى أباطة ، ولعله من أرق  
من عرفت من الشعراء . أذكر له شعرا كثيرا . فهو يقول مثلا لصديق له  
يذاكره أيام أنس عاشاها معا :

وعلى اقتراحك قد نزلت      وقد نزلت على اقتراحى  
فتمـازجت أرواحنا      كالراح والماء القراح

وقد أهدى إليه مرة عمامة . فهو يقول لمن أهداها له :  
توجت رأسى بالعمامة      وكسوتنى حلل الكرامة  
فكأننى شيخ المراغة      فى المهابة والفخامة

وكان قريبي هذا فلاحا يعمل بالفأس . فهو يرسل برقية إلى أبى يقول  
فيها :

قل للوزير الألعى مقالة      مشبوبة كذكائه المتوقد  
الفأس قد أكلت يدى وأنا امرؤ      للطرس لا للفأس قد خلقت يدى

قريبى هذا لم يدخل أى مدرسة وإنما علم نفسه ثم ثقف نفسه بنفسه . وكان خطه جميلا ولكنه كان بطيئا فى الكتابة بشكل ملحوظ لأن يده أصيبت بكسر فى بواكير طفولته ، ولكن هذا البطء فى الكتابة لم يمنعه أن ينقل ديوان المتنبى جميعا لأنه لا يقوى على شرائه . لقد كان مولعا بالشعر فلم يقف شىء فى طريقه .

وأخونا الأستاذ أمين يوسف غراب لم يختلف إلى مدرسة قط وإنما علم نفسه ، وقرأ قراءة واسعة فى القصص العربى والأجنبى المترجم ، حتى استطاع أن يصنع هذا الاسم الذى حققه واستطاع أن يترك بصمات على القصة القصيرة فى مصر .

وإذا ألقينا نظرنا إلى أدباء العالم القدامى منهم والمحدثين ، وجدنا أن الغالبية الكاثرة منهم لم تتلق من التعليم أكثر مما تلقاه رفاق جيلهم ، ولكنهم هم ثقفوا أنفسهم واستطاعوا أن يكونوا عمالقة فى فنونهم وآدابهم .

فالواقع أن الثقافة مسئولية الفرد وليست مسئولية الدولة . فعلى الدولة يقع عبء التعليم . ولكن الثقيف واجب الراغب فيه . وهو حين يريد ذلك لا يقف شىء فى سبيله .

تستطيع الدولة أن تقرب مناهل الثقافة للراغبين . ولكن الفرد وحده هو من يثقف نفسه ، وعليه أن يسعى إلى الثقافة فى مظانها جميعا .

وليس الأمر بعسير . فحتى الفقير المعدم يستطيع أن يختلف إلى المكتبات العامة المصرية وغير المصرية ، ويصيب من الثقافة المتاحة له ما يطيب له أن يصيب .

- ٦٩ -

والدعوى بأن المكتبات ليست كاملة لا تصلح اعتذاراً له ، فإنه لن يقرأ جميع ما فى المكتبة حتى يتبين أوجه النقص فيها .  
ولكن هذا الحديث لا ينفى مسئولية الدولة نفياً تاماً .  
فأنا أذكر أننا حين كنا طلبة فى المدارس الثانوية كانت مكتبات المدارس حافلة بالكتب . وأذكر أننى قرأت من مكتبة المدرسة تيمور جميعه وبعض كتب توفيق الحكيم التى كانت نافذة من السوق وغير هذين . فقد كانت كتب جميع الأدباء الكبار فى المكتبة ، بل كان بها أيضاً الكثير من كتب النشء الحديث فى ذلك الحين . وكانت كتب التراث جميعاً فى مكتبات المدارس ، وأذكر مثلاً أننى قرأت العمدة لابن رشيح من مكتبة المدرسة ، وقرأت منها أيضاً كتب المنفلوطى . وأنا لا أستطيع أن أتصور أن المدارس اليوم تخلو تماماً من المكتبات ، وأن الميزانية المدرجة لها لشراء كتب تستنفد فى أشياء أخرى لا شك أنها أقل أهمية من إتاحة الثقافة للطلبة . وهكذا أصبح من الطبيعى أن يعرف الطلبة كتابهم من خلال أعمالهم فى السينما والتلفزيون والراديو ، دون أن يقرأوا هذه الأعمال فى كتبها الأصلية .

**ثروت أباطة**

— ٧٠ —

الأهرام — العدد ٣٢٦٦٦

١٨ مايو سنة ١٩٧٦

## « الصوت المرتفع والتليفون والفن » من مفكرة : ثروت أباطة

تعود أبناء الريف أن يرفعوا صوتههم إلى أعلى الدرجات حين يتكلمون فى التليفون . ولا شك أن هذه العادة قد لازمتهم من أيام تليفونات المركز المتصلة بالعمدة . وهى — بالمناسبة — مازالت موجودة حتى اليوم . وكان الخفير لا يكاد يسمع محدثه حتى كان يرفع عقيرته إلى القمة . وأغلب الأمر أنه كان حين تنتهى المكالمة يرمى إلى أقرب مقعد أو مصطبة مقطوع الأنفاس وكأنه جرى مائة كيلو بغير توقف .

وكان المرحوم أحمد عبد الغفار « باشا » فلاحاً لم تتخل عنه أخلاق الفلاحين ولا عاداتهم ، رغم تعلمه فى أكسفورد ورغم كرسى الوزارة الذى تبوأه .

وفى يوم كان أحد الزوار يجلس عند سكرتيره فى الوزارة ، وكان صوت الوزير عالياً جداً حتى كان الزائر يسمع كل كلمة يقولها صارخة فى أذنه . وأحس السكرتير بخرج فنظر إلى الزائر وكأنه يعتذر :

— أصل الباشا بيكلم تلا .

فرد الضيف بسرعة ذكية :

— ولماذا لا يكلم الباشا تلا عن طريق التليفون ؟



— ٧١ —

هذا الصوت المرتفع نلتقى به كثيراً فى الأعمال الأدبية ، وهو عيب  
أجمع النقاد على أنه ينال من العمل الفنى ويغض من قيمته .  
فالعمل الفنى بطبيعته همسة تتسلل فى ذكاء شديد ولباقة إلى أبعد أغوار  
النفس الإنسانية ، وترسى فيها ما يشاء أن يرسيه الكاتب من معان .  
والصوت المرتفع لغة المقال ، وليس لغة العمل الفنى . فحين يعلو  
صوت الفنان فى عمل أدبى ينقل عمله من قصة أو رواية إلى مقالة أم  
خطبة .

ولكننا مع ذلك نجد أعمالاً كثيرة لأدباء يرتفع فيها صوتهم إلى درجة  
الإزعاج ، وتسقط هذه الأعمال وتبقى بالفشل . والكاتب الذين ترتفع  
أصواتهم غالباً ما تكون كتاباتهم بتوجيهات صادرة إليهم ، فيرتفع منهم  
الصوت ليسمعوا من أصدر التعليمات . لأن هؤلاء المصدرين للتوصيات  
لا يحسنون أن يسمعوا الفن ، فصلتهم بالفن مقطوعة وإلا فكيف  
يصدرون الأوامر إلى الفنانين .

الشعر وحده هو الذى نستطيع أن نسمح له باللغة المباشرة والنعمة  
العالية . لأن الشعر العربى يعتمد فى تراثه على المدح والذم والغزل  
والهجاء وغير ذلك من أبواب الشعر المعروفة . فحين يأتى الشعراء  
المحدثون ويسيروا على نفس النهج الذى سار عليه الأوائل ، فلا جناح  
عليهم . بل إننا قبلنا هذه النعمة المباشرة فى المسرحيات الشعرية التى  
قدمها شوقى ومن بعده عزيز أباطة . فحين يقول :

اسمع الشعب ديون كيف يوحون إليه  
ملاً الجو هتافاً بجيأتى قاتليه  
أنر البهتان فيه وانطلى الزور عليه

ياله من بغياء عقله فى أذنيه

يقبل الناس منه هذا الكلام ويرددونه من بعده إلى اليوم . وحين يقول  
عزيز أباظة فى العباسية :

شعور الشعب يا جعفرُ حلق لا هوى فيه  
يحس الكره والبغض فيجربه على فيه  
يميز بوحى فطرته عداه من عييه  
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه

نقبل منه هذا الكلام ونرده من ورائه .

وحين يرتفع صوت الشرقاوى فى رواياته ، يقبل منه الناس هذا  
الصوت المرتفع فى مسرحياته الفتى مهران ووطنى عكا والنسر الأحمر  
وغيرها . وينظرون إلى مسرحه فى تقدير .

والواقع أن الشعر الحديث فى المسرحية يقع فى المكان الذى خلق له ،  
لأنه يضاف على الحوار نوعا من الموسيقى والجرس مع تحرير الشاعر من  
القافية ، وإطلاق يديه فى تنويع الحوار والسير به إلى حيث تبتغى المشاهد  
والمواقف .

ولهذا لم يكن عجيبا أن تنجح مسرحيات الشرقاوى ، ويتخلج الشعر  
الحديث على الطريق ولا يستطيع أن يبلغ من نفوس الناس ما بلغه الشعر .  
وعوداً إلى الصوت المرتفع . أعتقد أن القراء أنفسهم يحبون فى العمل  
الفنى أن يصلوا إلى خوافى معانيه بشيء من الجهد يبذلون مع الكاتب ،  
حتى إذا أغناهم الكاتب الرواى أو القاص عن هذا الجهد انصرفوا عن

- ٧٣ -

العمل جميعا فى غير احتفاء ولا تقدير .

\* شوقى وحافظ وطه حسين :

خطب رئيس وزراء إنجلترا فى مرة فقال : إن إنجلترا لا تشرف بشيء قدر شرفها بأن منها شكسبير ، وكانت إنجلترا فى ذلك الحين الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس . لم تعتز بعسكرها ولا بهذه الإمبراطورية التى تدور مع الشمس حيث تدور دائما ، وإنما اعتزت بوضع كلمات قالها شاعر اسمه شكسبير . وقد كان رئيس الوزراء هذا صادقا فى نظريته فقد صفيت الإمبراطورية وغابت عنها الشمس فى أغلب أوقات النهار . وغابت شمسها هى أيضا وأصبحت دولة من الدرجة الثانية ، تعاني الفقر والأزمات المالية والسياسية جميعا .

و شاء الله لمصر أن يشترك فيها شاعر لقبه شعراء العالم العربى بأمير الشعراء ، وهو أميرهم لقبوه أو لم ، واحتاج شعره بلدان العربية وكان يعرف ذلك عن نفسه وهو يقول :

وحولى فتية غر صباح لهم فى الفضل آيات وسبق  
على طوائهم شعراء لسن وفى أعطافهم خطباء شدى  
رواة قصائد فاعجب لشعر بكل حلة يرويه خلق

وكان يعرف ذلك وهو يشكر الذين نصبوه أميراً للشعر حين يقول :  
رب جار تلفتت مصبر تو ليه سؤال الكريم عن جيرانه  
بعثتنى معزىا عاقى وطنى أو مهتبا بلسانه  
كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه

وحدث أن كان الدكتور طه حسين يبدأ حياته الأدبية ، وقد حلاله أن يهدم شوقي . وكتب المقالات فى مهاجمته ، وطبعاً لم يهدم شوقي . وحاول العقاد والمازنى نفس المحاولة ، وبقي شوقي . ووقف المازنى فى ذكرى حافظ إبراهيم يقول لقد حاولنا أن نهدم شوقي وحافظ لنقف على أنقاضهما فلم نفل إلا من الحق ومن أنفسنا .

وفى يوم كنت جالسا مع أستاذنا العملاق طه حسين وسألته :

— لماذا هاجمت شوقي وأنت أعظم من يعرف فضله ؟

قال : لقد هاجمت فى أشياء لا تتصل بالشعر . وإنما لأنه كان ينسب آراء أرسطو إلى أفلاطون .

وكأنما رأى العملاق ظل ابتسامة على وجهى فهو يكمل حديثه قائلاً :

— وعلى كل حال أنا ما أسفت على شئ كتبه قدير أسفى على مقالات المهجوم .

وأفاجأ بوزارة التربية والتعليم تقرر على الطلبة فى العام الماضى كتاب أستاذنا طه حسين « شوقي وحافظ » وهى بهذا تقدم لتلاميذها عميد الشعر العربى وعميد النثر العربى وشاعراً من أكبر الشعراء الذين أنجبتهم مصر أسوأ تقديم .

فطه حسين صاحب الكتب الباذخة فى الأدب والرواية لم تجد له وزارة المعارف كتاباً تقدمه له إلا هذا الكتاب الذى كثيراً ما اعتذر عنه . وشوقي الخالد لم تجد وزارة التربية وسيلة تقدمه بها إلى تلاميذها إلا من خلال هذا الكتاب .

وحافظ أيضاً بعرضه هذا العرض على أبناء الجيل كارثة .

— ٧٥ —

وفى هذا العام أنظر فى كتاب ابنى فأجد أنهم قرروا عليه قصيدة شوقى الخالدة :

يائئح الطلح أشباه عواديننا  
نأسى لواديك .. أم نبكى لواديننا

وأفرح بهذا وأعجب به . ولكن كيف يتركنى جهابذة الأدب العربى أفرح ؟

قرأت نقد القصيدة . ويل للعظيم من الصغير ، ويل للعمالقة من الأقزام وأشباه الأقزام . ما هذا أيها الأستاذ الناقد ؟ من قال لك إن الشعر يصنع به هذا الذى تصنعه ، وأى ذوق سقيم تفرضه على أبنائنا ؟ وكيف تفعل بشوقى وشعره هذه الأفاعيل ؟ إن الناقد الذواق المتمكن حين يقف أمام نص كهذا وقفت أمامه الأجيال خاشعة مكيرة ، عليه فقط أن يبحث عن سر عظمته وخلوده وروعته . وبعد فإتنى أرجو ألا يقرأ طلبة الثانوية العامة هذا الذى أكتب فإن عليهم فى الغد القريب أن يحقوا شوقى فى ورقة الإجابة أو هم ملاقون من المصححين الويل والثبور وعظائم الأمور ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

\* همسة لأعضاء مجلس الشعب :

أنتم بعد أشهر قلائل ملاقون ناخبكم . والناخبون الآن ينبث بينهم المتعلمون من حملة الشهادات العلمية ، فهم يصرونهم بأمور لعله لا يسركم أن يصروها .

وأول هذه الأمور وأهمها مسألة الجمع بين وظيفتين . لا أعتقد أن أحدا سيقدر لكم أن تجمعوا بين وظيفتين فى الوقت الذى تحرمون فيه ذلك على صغار الموظفين والذين يحتاجون إلى وظيفتين وثلاثا وعشرا إن أمكنتهم الطاقة وأتيحت لهم السبل . . .

ولا أعتقد أحدا سيقبل منكم أنتم بالذات أن تكونوا أعضاء مجلس شعب ونواب مصر جميعها ، والمرعين والرقباء على جهازها التنفيذى ، وتطلون مع هذا موظفين فى الجهاز التنفيذى الذى أنتم رقباء عليه .

لا يستطيع أحد أن يتصور أن يكون أحدكم موظفا فى وزارة لها وزير ، ويكون فى نفس الوقت رقبيا على هذا الوزير . وقد كان النظام يقضى بأن تترك للنائب فرصة ثلاثة أشهر يختار بعدها أن يظل فى وظيفته أو يصبح عضوا فى المجلس التشريعى .

وأنا أعتقد على أى حال أن استثناءكم أنتم بالذات من قانون الجمع بين وظيفتين ، يجعل القانون غير مقنع لمن يطبق عليه .

وأعتقد أيضا أنكم لو ذهبتم إلى الناحيين وقد تنازلتم عن هذا الحق الشاذ الذى لا مثيل له فى أى دولة ديمقراطية أو غير ديمقراطية فى العالم ، سيكون منظركم أكثر إشراقا وجمالا ، ويكون انتخابكم أيضا أكثر احتمالا .

**ثروت أباطة**

— ٧٧ —

الأهرام — العدد ٣٢٦٦٩

٢١ مايو ١٩٧٦

## لم يتسع الوقت

حين تقرر أن يسافر إلى السعودية لأعمال الشركة البولندية التي يعمل بها ، لم يفكر فى شيء آخر إلا أن يزور الأماكن المقدسة ويطوف حول الكعبة المكرمة ويقف أمام شباك النبى .

ولم يكن توفقه إلى العمرة عن أى شعور بالإيمان ، بل كان كل ما يفكر فيه هو تحدى هذه الرواسب التى تسيطر على أفكار المسلمين ، والتى يرى أن انصياعهم لها ما هو إلا تعلق ببقايا الأبوة وعهود الصبا والطفولة .

وكان واثقا أن الإنسان المتحضر لا يمكن أن يؤمن بفكرة الدين أو التعلق بأوهامه . . .

وهو واثق من نفسه وأفكاره ، وقد ازداد بها وثوقا حين اختار المذهب الشيوعى مذهباً وانسلخ فى قلبه ، وواجه كل ما واجهه أصحاب المذهب من عقاب كما نال كل ما ناله هؤلاء من ثواب .

والوظيفة التى يرتع فيها الآن ما هى إلا نهلة من فيض البحر الذى انسكب على أبناء مذهبه ، فما كانت الشركة البولندية لتعيه لو لم يكن شيوعيا غارقا فى الشيوعية يهب لها نفسه والحادة ، ويقدم إليها أيضا فقره لترده عليه غنى ووفرة ورفاهية ورخاء .

وقد استطاعت الشيوعية أن توفر له ما لم تستطع الرأسمالية أن توفره لأحد من أمثاله ، فسيارته كاديلاك من آخر طراز ، نعم السيارة رأسمالية

ولكن ما دام الشيعوى قد استخدمها فإن سيارته هذه الكاديلاك بالذات تصبح شيوعية بالتخصيص .

ومنزله من أفخم منازل الزمالك ، وأثاث بيته غالى الثمن غلاء فاحشا ولا يهم من بعد إن كان يتسم بالذوق السليم أولا يتسم ، فكل ما يهمه أن يكون غالى الثمن .

أما ملابسه فهى فى الحق مضحكة ، فإنه فيما يبدو مصاب بعمى الألوان فتراها تختلط على جسمه كقصعة غير معقولة ، أو كموسيقى صاخبة يعزفها قوم لا قائد لهم ولا نوتة تجمع بينهم . ولكن كل وحدة من وحدات ملابسه ثمينة فى ذاتها واضح أنه بذل فيها المال الكثير ، فيما يركب أو يسكن أو يلبس .

وكان يتيه دائما بين الناس بأنه لا يمد يده لأى دولة شيوعية ، وأنه شيوعى بالمبدأ لا بالجيب . وهو بطبيعة الحال يرى وظيفته هذه التى يشغلها والتى تسكب عليه المال حق طبيعى له لا صلة لها بالشيوعية .

هو يرى ذلك أمام الناس حين يخاطبهم ، ولكنه فى دخيلة نفسه يعرف تماما أنه لو لم يكن شيوعيا لما زاد دخله عن دخل زملائه الذين تخرجوا معه ، والذين يعجز مرتبهم أن يطاول عشر مرتبه .

هو واثق كل الوثوق أن ذلك الخير الذى يمرح فيه سببه الوحيد الذى لا سبب غيره أنه شيوعى ، ويعلم أن الكلية التى تخرج فيها قد منحت الحياة الآلاف من أمثاله أغلبيهم أكثر منه علما ودربة على العمل وإتقاناً له .

ولكن الشيوعيين وحدهم من هؤلاء الآلاف هم الذين يستطيعون أن ينالوا ما تهبه له الحياة من حظوة . وأصحاب الجرة فىهم هم الذين



— ٧٩ —

يستطيعون أن يواجهوا الناس أنهم لا يمدون يدهم لأى بلد أجنبى ! وهو من أصحاب الجرأة هؤلاء .

حين نزل إلى جدة قصد فندق الرياض حيث كانت شركته قد حجزت له حجرة فاخرة ذات غرفة ملحقة وتلفزيون . وبعد أن أودع الحجرة حقييته ونظر إلى المرأة واطمأن على القصة غير المعقولة التى يضعها على نفسه ، نزل إلى بهو الفندق ينتظر أصحاب العمل الذى جاء من أجله .

ولكنه فوجئ بصديقه رفعت جالسا فى البهو . . .

— أنت . . . أنت فى السعودية ؟

— عمل .

— فقط ؟

— طبعا سأعمل هذه العمرة التى تحكون عنها فى دينكم .

— وأنت ؟ ألك دين آخر ؟

— أنت تعرف .

— فعلا . . . أنت مسكين . . . أنت بلا دين على الإطلاق .

— أحمد الله على ذلك .

— بل احمد الشيطان إن شئت .

— المهم أنت ماذا تفعل هنا ؟

— أنا جئت من أجل هذه العمرة التى نؤمن بها نحن المسلمين .

— وهل قمت بالعمرة ؟

— ليس بعد : أنا على موعد مع الأصدقاء أن نقوم بها .

— أذهب معكم .

— ٨٠ —

— ألا تخاف ؟

— أخاف مم ؟

— ألا تخاف أن تؤمن . . . إن للكعبة روعة وإن لقبر الرسول ضياء لا تراه العين ، وإنما بنفذ إلى القلب وإلى حنايا المشاعر فيرج الإنسان رجاء عميقا ، وترى روحك حلفت إلى عليين تطوف مع النبي في رحلة آخر دين أرسل إلى الناس ، وتراه معذبا في سبيل عقيدته ثم تراه في خطبة الوداع أتم دينه وبشرنا أن الله رضى لنا الإسلام ديننا . يُخطب في أصحاب حجه إن دماءكم وأموالكم حرام بينكم حرمة يومكم هذا في شهركم هذا في عامكم هذا .

ويهتم بهم وهو يحتم رسالته إلى البشرية : اللهم هل بلغت ؟  
ويصيحون : نعم . ويهتف مرة أخرى . اللهم فاشهد .

أتحتمل هذا جميعه ؟

— قد لا يحتمله السذج من أمثالك ، أما أنا فأحتمله وإنى واثق .  
— لكم أخشى أن أجلك أكثر سداجة منى ومن أصحابي المؤمنين .  
— لقد جربت نفسى مع الإيمان .  
— حقا ؟

— ووجدت نفسى غير قابل للإيمان على الإطلاق .

— هل أنت واثق ؟

— كل الثقة .

— وكيف عرفت ؟

— تعرضت لمحنة فلم أذكر الله .

— ما نوع المحنة ؟

— ٨١ —

— هل يهلك هذا ؟

— كل الأهمية .

— كنت راكبا سيارتى ، وغفت عيني لأجد نفسى غائضا بسيارتى فى الماء . حاولت أن أفتح باب السيارة فاستعصى علىّ . ورحت أحاول وأنفاسى تحتنق بى تشدنى إلى الموت فى جذب أسر عنيف ، ولم أجد أمامى إلا أن أحاول الخروج من شبك السيارة فرحت أدفع جسمى . . خلاها دفعا ، ثم لم أدر بعد ذلك من أمر نفسى شيئا .

— أنقذت وأنت مغمى عليك ؟

— نعم .

— ومتى كنت تريد أن تذكر الله ؟

— إننا نحن المؤمنين نذكر الله حين نصبح عاجزين ، فإن الله يأمرنا أن ندبر نحن أمر أنفسنا ، ونتوكل عليه ولا نتواكل .

وقد كنت أنت مشغولا بإنقاذ نفسك ، وحين جاءت اللحظة التى يجب أن تقول فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله كنت مغمى عليك . يا صديقى إن هذه التجربة لا تصلح دليلا تطمئن إليه أنك محصن ضد الإيمان .

— أترى ذلك ؟

— لا شك فى ذلك . . . هيه . . . أتأتى معنا ؟

— لا ، سأذهب وحدى .

وأثار الحديث الكثير من الوسوس فى ضميره . ما مصيرى إذا اهتزت مشاعرى من الإيمان ، واستيقظت من سباتها تلك البذرة القديمة التى

— ٨٢ —

ألقى بها فى نفسى أبواى وسقتها البيئة والتقاليد وتاريخ أجدادى الطويل  
ذاك فى ظل العقيدة .

وما البأس أن أومن وأظل فى عملى . . . هراء . إن عملى متوقف  
على إلحادى . ولماذا ألقى بنفسى إلى صراع أنا فى غنى عنه ، ومالى لا  
أبعد مشاعرى عن هذا الامتحان ؟ قد أجوزه وأظل على إلحادى أو قد  
أرسب وأعود إلى الإيمان ويومئذ وداعا للكاديلاك . . والملابس الأنيقة  
والعيش السعيد .

وبعد أيام التقى الصديقان فى بهو الفندق .

— أراك تنهى إقامتك بالفندق .

— عائد إلى بيتى .

— هل أديت العمرة ؟

— لم يتسع الوقت . . .

— ٨٣ —

الأهرام - العدد ٣٢٦٧٣

٢٥ مايو سنة ١٩٧٦

## من مفكرة : ثروت أباظة

### حديث إلى مولانا الإمام الأكبر

أنا من الكثيرين الذين يكون للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود كل إجلال وإعجاب وتقدير ، فهو رجل فيه كبرياء العلماء وتواضعهم ، ينظر إلى الدنيا مستصغرا ، وينظر إلى وظيفته في الحياة مكبرا ، وهو عف الضمير واليد واللسان ، عالم واسع العلم تتيح له ثقافته المتعددة أن تكون نظرته شاملة عميقة . وهو لاشك من المعالم الإسلامية التي تشرف مصر في جميع محافل العالم . ولهذا جميعه أتيح لنفسى أن ألقى بالمشورة في ساحته فيما يتصل بفيلم محمد رسول الله الذى منع الأزهر عرضه . وقد كنت أتمنى أن يشاهده مولانا الإمام الأكبر ليدلى برأيه بناء على المشاهدة . ففكرة عرض فيلم إسلامى ليست ممنوعة فى ذاتها فقد ظهرت قبل اليوم أفلام أخرى لا تختلف فى مضمونها عن هذا الفيلم ، وإن يفضلها فى الإخراج وروعة . ظهرت أفلام « ظهور الإسلام » و « فجر الإسلام » و « الشيماء أخت الرسول » وجميعها ظهرت بموافقة من الأزهر . كما أن الأزهر وافق لى على فيلم كلفتنى به مؤسسة السينما ، وإن كانت لم تنتجه بعد بعنوان « قلوب فى السماء » .. وهو فيلم إسلامى . وظهر أيضا فيلم بأكمله عن « خالد بن الوليد » وآخر

عن « بلال مؤذن الرسول » وهما من الصحابة وكانت القاعدة التي يطبقها الأزهر ألا يظهر أحد من العشرة المبشرين بالجنة .

ومثل هذه الأفلام تتيح للشباب أن يعرف تاريخ دينه من الوسيلة الإعلامية التي يقصد إليها . وقد كانت هناك مفاوضة معي أن أشارك مع كتاب هذا الفيلم ، ثم انقطعت هذه المفاوضة . وإنى أشهد الله والحق أنني ما كنت لأستطيع أن أضيف أو أعدل مشهداً أو كلمة من مشاهد الفيلم أو حواراه .

وإنى أرى الأعداء يتربصون بديننا من داخل الوطن ، ويلبسون عباءة الإسلام ويمسكون خنجره ، ثم يوجهون عدوانهم إلى الدين والوطن . . وأنا رجل مؤمن عميق الإيمان لم يحتلج في نفسي شك إلا الذي يؤدي بي إلى اليقين . . ومولانا الإمام الأكبر يعرف عنى هذا ... وأنا مطمئن كل الاطمئنان إلى قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنالـه لحافظون ﴾ . ولكن هذا لا يمنعنا أن نرد كيد الكائدين ومكر الماكرين .

وهم في كيدهم يحاولون أن يجعلوا ديننا السمع الذي أمرنا أن نوغسل فيه برفق - ييلو ديناً عسراً عنيفاً يتمثل أمام الذين لا يعرفونه وسيلة تضيق وأخذ بالخنق فينهار اقتصادنا وتتحطم آمالنا في الانتعاش المالى . فإن المذهب الذى يلحدون إليه لا يلتقط أنفاسه إلا من العفن ، ولا يتفرع وينمو إلا فى الدمار ، ولا تنبت جذوره إلا فى الأرض الخراب .

وبعد يا مولانا الإمام ، فإن أخشى ما أخشاه أعداء يتخفون فى ثوب الأصدقاء ، ولكننى فى نفس الوقت مطمئن إلى صدق نظرتك وجلاء بصيرتك ، وقد ارتضيناك لدينا إماماً وشأننا وإياك فى هذا الدين أن تأمر فئاتم وتنهى فنتهى وتسمح فنترخص وأنت بما ارتضيناك له جدير .

## من العاملين وإليهم .....

جاءنى خطاب من أحد العمال يقول فيه : « إننى من خلال ملاحظتى ، ومن خلال استعمالى لوسائل النقل العام ، لاحظت أن بعض العاملين بالمؤسسة يتعاملون مع الجمهور باستهتار شديد . فمثلا تقبل السيارة على محطتها وهى غير مزدحمة ، ولكن السائق فى الكثير من المرات يتوقف فى منتصف الطريق والعربة شديدة الازدحام ليشرب كوب شاي أو عصير قصب ، رغم وجود هذه الأشياء بنهاية الخط . ومثل هذه الأشياء تجعل الأزمة تبدو وكأن ليس لها حل على الإطلاق حتى لو زيدت السيارات ، وأصلحت الطرق .. فإن العيب الأساسى هم العاملون بمؤسسة النقل العام . بل إن تصرفاتهم هذه تضغط على أعصاب الجمهور وتمتدحه إلى درجة اليأس .. »

وقد أحببت أن أنقل الخطاب الذى جاء إلى بعباراته .. فكلنا نعلم أن البلاد تمر بأزمة طاحنة . وكلنا نعرف أن السيارات العامة غير كافية وأن التليفونات غير صالحة ، وأن الخدمات العامة جميعها ناقصة للدرجة مثيرة .. ولكن هذا جميعه يهون إذا لم يتسرب اليأس إلى قلوبنا . وإننى أذكر أننى كنت أتحدث إلى وزير سابق قبل أن يخرج من الوزارة ، وقلت له فى أثناء الحديث عن شأن من الشؤون العامة أن هذا الأمر لابد أن يصلح . فقال « نصلح إيه ولا إيه » . والواقع أن الكلمة صدمتني من وزير مسئول ، وأذكر أننى قلت إن كل سفر طويل يبدأ بخطوة .. والواقع إننى لا أرى الخطوة أبداً بل أحياناً أراها إلى الوراء . تستطيع الأيام أن تدمر التليفونات والكهرباء والطرق والمواصلات ، لكن ويل لنا

وللأيام إن هي دمرت نفوسنا .. إننا أشبه بمن يدخل بيتا قائم الجدران راسى الأسس ، ولكن الأثاث بداخله جميعه حطام ، ولا بد لنا أن نبدا برفع الحطام لنضع الأثاث الجديد ، فإنه لا أمل لنا يرجى إذ ظللنا نبكى الأثاث المطحون أو إذا هالنا الأمر وتولانا اليأس ، فلا سبيل لنا إلى تجديده أبدا .

وكم أكره هذا الكلام وما أكتبه ، فإن النصائح الموجهة إلى الجماعات كلمات ضائعة فكل إنسان يعرفها وترديدها ثقل على نفس الكاتب والقارئ جميعا .. ولكننا نحتاج إليها لنصل إلى ما نريد .. فإننى أوجه هذا الكلام إلى كل مسئول ، والمسئولون أقل عددا من العاملين بطبيعة الأمر .. وإن هؤلاء المسئولين إذا لم يلجأوا إلى القواعد العامة التى تؤكد التشريعات السماوية .. والقوانين الوضعية ، فلا أمل لنا ولا لهم . لابد من العقاب والثواب ، ولا بد أن يكون العقاب فى أيام محنتنا هذه شديداً رادعاً . وإننا لنعلم أن عمر بن الخطاب شدد العقوبة على الذين يخفون الطعام فى عام الرمادة وهى سنة القحط الشديد الذى ألم بالناس فى أثناء حكمه .

وقد سمي عام الرمادة ، لأن وجوه الناس أصبحت فى لون الرماد من شدة الجوع . وقد استطاع عمر أن ينجو بالناس من الأزمة دون أن تلحق أذى بنفوسهم ، وإن ألحقت بأجسامهم الجوع والهزال وبوجوههم لون الرماد .

ونحن هنا نستقبل ما نحن فيه بنوع من اليأس اللامبالى .. ولكن هذا اليأس هو الذى يجعلنا لا نتحطم فى داخلنا ، ولكن إذا ألم بنا اليأس إلاما يجعلنا لا نقبل على إصلاح ما بنا فعلى مستقبلنا العفاء .



إن أول بواذر الأمل أن نطبق قانون الثواب والعقاب .. وأن يعم هذا القانون جميع مرافق حياتنا وأنا غير يائس ... فمنذ قريب روى لى صديق كريم أن خطابا جاءه من مهندس رى فى بلدته يطلب إليه أن يرفع ماسورة تروى حديقته منذ زمن طويل . وذهب الصديق إلى وكيل الوزارة المختص فوجده رجلا غاية فى الكياسة والأدب ولطف الحديث ، واستمع إلى شكواه واطلع على الخطاب وطلب المهندس الذى صدر الخطاب من إدارته ، وبكل هدوء قال له : يجرى تحقيق فورى مع المهندس الذى أرسل هذا الخطاب لأنى أشم فيه رائحة أرفضها .. أنا فى انتظار التحقيق بعد يومين .

إذن فهناك رؤساء يعرفون أن فى توقيع العقوبة على المخطئ إنصافا للناس جميعا ، وإنصافا للعاملين الذين يؤدون واجبهم وإرضاء لوجه الله .

بغير توقيع العقوبة لا أمل فى إصلاح ، وإن انهمرت على أرض مصر كل وسائل الخدمات الحضارية .. وإن رئيسا لا يوقع العقوبة يسىء إلى مصر قلدر ما يسىء العدو ، وهو أشد على مستقبل مصر خطرا من كل عدو يتهددها أو يتآمر عليها .

### ويل للإنسان من نفسه :

فى بعض الأحيان يسلط القدر الإنسان على نفسه .. فيكون هو شر عدو يلاقيه .... وشر أنواع العداء أن يعتقد الإنسان أنه قمة رفيعة باذخة بينما لا يظن الناس به هذا الظن ، حيثئذ هو فى دوار مخيف آخذ . لأن الحقيقة دائما واحدة ، ولكنها عنده مزدوجة . هو يراها من ناحية ، والناس جميعا يرونها من ناحية أخرى .

هو يرى أن كل تكريم أقل مما يستحق ، والناس ترى أن كل تكريم له أكثر مما يستحق .. حيثئذ يصاب هذا المسكين بنوع من الترفع يقضى على البقية الباقية له عند الناس .. فإن كان كاتباً كتب ما لا يفهمه الناس ، لأن الناس فى رأيه غوغاء وسائمة ، وعليهم هم أن يفهموا ما يكتبه وليس عليه أن يكتب ما يفهمون .

وإن كان تاجرا نظر إلى الزبائن فى تكبر وترفع فهم عنه هاربون ، وهم من بضاعته نافرون ، وإن كان يبيع لهم أنسام الحياة . وهكذا سيكون أمره إن مررت به على كل مناحى العمل فى الحياة . وهو شر ما يكون مع زوجته وأولاده .

فإن كانت زوجته ذكية وحاولت أن ترضى غروره تعذر عليها هذا واستحال ؛ لأنها مهما تبذل له من إرضاء لغروره لن يرضى ، فهو فوق كل تكريم وأرفع من كل تعظيم وحسب زوجته الله ونعم الوكيل . أما مع أولاده فالمصيبة أدهى وأمر ..

فإن الأولاد فى هذه الأيام لا يحبون أن يصدقوا أن آباءهم قمم ، كما كان أبناء الجيل الماضى ينظرون إلى آبائهم . فحين يرى الأبناء آباهم متفخا كالديك الرومى ولا يجدون ما يبرر هذا الانتفاخ — إن أمكن

— ٨٩ —

وجود ميرر لغروره عامة — فإن الأبناء تصاب بنوع من الاحتقار  
لآبائهم ، وويل لأب يحتقره أبنائه .

وعلى كل حال ، فإن عقاب هذا النوع من الناس يكمن فى الخلق  
الذى يتخلقون به ، فهم فى صراع دائم بين واقعين : واقع يتوهمونه  
وواقع يراه الناس ، وبين هذين الواقعين يعيش هؤلاء فى حريق . خفف  
الله عنهم ومنحهم على بلواهم الصبر إنه قريب مجيب .

ثروت أباطة

الأهرام - العدد ٣٢٦٧٦

٢٨ مايو ١٩٧٦

## القصة واللغة

لا أدب بغير لغة . وهذه قاعدة لا تحتاج إلى مناقشة . وبحسبك نظرية إلى الآداب الأخرى لتجد أنهم يهتمون بلغتهم اهتماما بالغا . فاللغة هى الوسيلة التى تصل بالعمل الفنى إلى مستقبله . فلا بد للكاتب أن يكون عليما بلغته حتى يصل بها إلى حيث يريد من نفوس قرائه . والعلم واللغة ليسا مجرد معرفة بالفاظها ، وإنما معرفة بأسرار الألفاظ ومسراها وإشعاعها وارتباطها بالمعاني المختلفة فى نفوس الناس .

ولكن ظهرت فى السنين الأخيرة فئة ترى أن الرواى أو القصص لا يحتاج إلى لغة عربية جميلة أو سليمة لكتابة القصة . والأعجب من ذلك أنهم يضعون القواعد والأسباب لنظريتهم هذه ، فيقولون إن الأسلوب الجميل يلهى القراء عن تتبع أحداث الرواية أو القصة ومراميها . ويذهب بعضهم إلى الدعوة لاستعمال اللغة العامية مرتئين أن هذا يجعلها أكثر واقعية .

والواقع أن فى هذا القول جهلا كبيرا بالواقعية . فليست الواقعية نقلا للواقع وإنما تحوير قصصى له . فالقصة تستلهم الحياة ولكنها لا تنقل عنها وتستشف ما وراء أحداثها من أعماق وأسرار .

تستطيع الحياة أن تؤلف كما تشاء ، فهى لا تحتاج إلى قراء ولا يعينها رأى النقاد فى كثير أو قليل . إنها كما قال شوقى فى مصاير الأيام :

وألقي رؤوسا إلى الضارين وضمن بأخرى فلم تضرب  
أراد لمن شاء رعى الجديب وأنزل من شاء بالمخصب  
وليس يبالى رضى المستريح ولا ضجر الناقم المتعب وضمن

هذا هو دستور الحياة فى أبنائها وفى قصصها ورواياتها .  
أما القاص فلا بد له إذا ألقى رؤوسا إلى الضارين أن يمهّد لهذا  
الحديث ، ويجعله طبيعيا منطقيا داخلا فى نسج العمل الفنى دون نفوذ  
ولا شذوذ .

وهكذا تصبح الواقعية الفنية فى الرواية والقصة أمرا مختلفا كل  
الاختلاف عن واقعية الحياة . واللغة جزء من هذه الواقعية وجمال السرد  
يجب القارئ فى العمل الفنى ، ويجعله يشعر أن الكاتب يحفل به ويحترمه  
ويقدم له أحمل ما عنده . والجمال فى الأسلوب لا يباعد بين القصة  
والقارئ ، ما دام جمال الأسلوب ليس استعراضا أسلوبيا ، وإنما سبك  
لأحداث القصة وتوفير الانسجام بين عرضها ومضمونها وشكلها  
جميعا .

حتى الحوار يجعل به أن يكون باللغة العربية البسيطة . فالقارئ قد  
عود أن تكون القراءة بالعربية لا بالعامية ، وهو قادر بل إنه يجد متعة أن  
يقلب الحوار العربى إلى حوار عامى فى ذهنه . وقد استطاع توفيق  
الحكيم ومن بعده نجيب محفوظ ، ثم تبعتهما أنا أن نكتب حوارنا بلغة  
سهلة عربية يخيل لقارئها أنها عامية . ولم يشق على القراء ذلك بل لعله  
كان أكثر إمتاعا لهم .

- ٩٢ -

ولكن معرفة الكلمة العربية السهلة تحتاج إلى إلمام كبير باللغة العربية ،  
وإلى حس صادق بخوافيها . ولكن من قال إن الفن شيء سهل ؟ إنه  
جهد ضخم ، وعلى من يرود طريقه أن يحتمله أو يتعد عنه .

— ٩٣ —

الأهرام — العدد ٣٢٦٨٠

١ يوليو سنة ١٩٧٦

## من مفكرة . . ثروت أباطة

### حيرة مع مليم ناقص

كانت المدارس تبدأ قبل أن يجمع الفلاحون القطن فكان أبى يرسلنا إلى القاهرة ، ويبقى هو فى القرية ليشرّف على جمع القطن . وكانت مديرة منزلنا سيدة كبيرة السن ، وكان زوجها صديقا لأبى ، فحين مات عنها عاشت هى معنا ترعى أمرى أنا وإخوتى . وكانت مصاريف المنزل ومصاريف أيدينا فى يدها . وبطبيعة الحال فتركت أنا مصروفى فى لحظات وأصبحت يا مولاي كما خلقتنى . وجاءنى صديقى إحسان عفيفى وهو اليوم الدكتور إحسان عفيفى ، وقال إن فيلما جديدا ظهر للوريل وهاردى ومعرض فى سينما متروبول . وعملت الحسبة وتبينت أننى أريد خمسة قروش لأذهب إلى السينما وأركب الترام ذهابا وإيابا . فتذكرة السينما صالة درجة أولى ثلاثة قروش ونصف القرش ، والتزام ستة مليمات ذهابا ومثلها إيابا ويبقى معى ثلاثة مليمات . ذهبت إلى أم عبده وطلبت منها القروش الخمسة وطبعا سألتنى فيم تريدها . فقلت لها أشتري كتابا — وكانت بعض الكتب فى ذلك الحين تباع بخمسة قروش . وتظاهرت أم عبده أنها صدقت ونفختنى القروش الخمسة ..

بكرنا فى يوم الجمعة أنا وإحسان ذاهبين إلى السينما وركبنا ترام ٣٣ إلى العتبة ، ودفع إحسان لى تذكرة الترام ، وحين حاولت أن أحتج قال ادفع أنت لى عند عودتنا فابتلعت احتجاجى . كنت يومذاك فى

— ٩٤ —

الابتدائية بمدرسة العباسية . وكان إحسان بالسنة الأولى الثانوية بمدرسة فاروق الأول الثانوية ، وهكذا كنت لا أعرف أحدا من أساتذته .

وقفنا عند شباك التذاكر ، فرأى أستاذا له مع آنسة يقفان عند شباك البلكون ، فطار عقله وهتف بي في جنون فرحان : أستاذ الإنجليزى معه واحدة ، ويقطعان بلكون لابد أن نقطع بلكون معهما .

— نقطع معهما ! ؟

— نعم .

— كيف ؟

— كذا .

— بكم تذكرة البلكون ؟

— بأربعة قروش ونصف .

— وكيف أرجع .. تذكرة التزام بستة مليمات ولن يبقى معى إلا قرش تعريفه .

— ولا يهمك أنا أقطع لك تذكرة التزام .

كانت تلك هى المرة الأولى فى حياتى التى أعرف فيها القلق .. قطعنا تذكرة البلكون وظللت طول الفيلم والهواجس تنهش عقلى ، وأحاول أن أردّها بضالة الفرق بين ما معى وما أحتاج إليه من أجل تذكرة التزام .

لم أتمتع بالفيلم ، مع أنه كان من أحسن أفلام لوريل وهاردى . وانتهى الفيلم وأضيئت الأنوار والتفت إلى إحسان . ليس هناك إحسان . امحى . ألغاه الوجود ، أصبح كأنه لم يولد ، لا إحسان على الإطلاق . وقفت بباب السينما حتى أغلقوا الأبواب ولا إحسان .



ماذا أفعل ؟

الأتوبيس بقرش تعريفه ، ولكننى ساكن جديد بحى العباسية ولا أعرف إلى بيتى طريقا إلا من محطة الترام .. أما أين ينتهى بى الأتوبيس وكيف أذهب إلى بيتى لا أعرف . مشيت إلى شارع فؤاد لأسأل عن محطة الأتوبيس فوجدتها .

هل الأتوبيس الذى يقف هنا يذهب إلى شارع فاروق ؟  
- لا ولكن ترام ٣٣ هو الذى يذهب ، ومن محطة الترام هذه تستطيع أن تركبه .

المصيبة إن محطة الترام كانت أمام محطة الأتوبيس مباشرة فى شارع فؤاد نفسه . ووجدت نفسى أقول فى بلاهة .

- ولكننى أريد أن أركب الأتوبيس .

ونظر إلى محدثى يبحث عن لهجة أجنبية فى كلامى فلا يجد فليس من المعقول أن يفعل هذا إلا سائح ولست به لا كلامى ولا منظرى يدلان على ذلك . طبعا لم يخطر له على بال أن معنى تعريفه وليس معنى ستة مليمات . فالمليم لا يستطيع أن يكون فرقا بأى حال وعلى أية صورة .

وجدت على محطة الأتوبيس صديقا لى فى مدرسة المنيرة . ولكن ماذ أقول له هات مليما . أهذا معقول ؟ توأريت عنه حتى لا يرانى وجاء الأتوبيس وركبت وسألنى الكمسارى :

- أين تريد أن تذهب ؟

- العباسية .

- أى عباسية ؟

- العباسية القريبة من شارع الجنزورى .

- تحتاج إلى قرش صاغ .

مصيبة لم تقدر على المليم فكيف تقدر على التعريفة كاملا .

- اذهب بى إلى آخر محطة يوصل إليها هذا التعريفة .

وأدرك الركاب الأزمة . وللأسف لم يكن الأتوبيس مزدحما ، فكان كلامى يرن فى أسماعهم جميعا .. والتفتوا إلى صبى يرتدى من الملابس ما يدل على أنه ميسور الحال وليس معه إلا تعريفة . أى شعب عظيم هذا . فى لحظة واحدة سرت فى الأتوبيس معان كثيرة كلها رفيعة وشريفة وجميلة . فأنا عند الكبير منهم ابن وعند الصغير أخ . وتسارعوا جميعا إلى ، منهم من يريد أن يدفع لى فأبى خجلا شاكرا ، ومنهم من يريد أن يصحبنى إلى البيت فيزداد خجلى ، وأطلب إليهم فى لعثمة أن يدلونى على طريق البيت فقط .

ويصل الأتوبيس عند شارع أحمد سعيد ويأتى إلى الكمسارى أن أنزل هنا وينزل معى بعض الركاب ، ويقومون جميعا بإرشادى إلى الطريق . وأسير وأصل إلى شارع الجنزورى ، وألتقى فى منتصفه بإحسان عفيفى . عاد إلى الحياة من جديد بعد أن حلت المشكلة . كانت على وجهه ابتسامة معتذرة لا تغنى شيئا .

- أين أنت ؟

واحتجزت دمعى حتى لا يراه وذهبت إلى البيت وتلقانى أم عبده .  
- أنا أعرف أن القروش الخمسة التى أخذتها لم تكن لكتاب . أنت ذهبت إلى السينما .

لم يكن ينقصنى إلا أم عبده أيضا .. النهاية . ترى هل استفدت شيئا من البحث عن المليم ؟ لا أظن .

### خطاب من البريد :

كتب إلى أحمد يوسف سعد من الإسكندرية خطابا على جانب كبير من الأهمية . فهو غاضب من أخبار متفرقة تظهر فى الجرائد تنم عن الفوضى ، ويعطى مثلا على ذلك أنه نشر فى الأهرام منذ شهرين تقريبا . أن كافورى حضر كمستثمر ، وعرض توريد سيارات ثلاجة لنقل سمك بحيرة ناصر ، ورفض المسئولون بحجة أنهم لا يعانون اختناقات فى نقل أسماك بحيرة ناصر . ثم عاد الأهرام بعد مضى فترة لا تتجاوز شهرا من نشر هذا الخبر فنشر أيضا : تجرى الآن الجهات المسئولة البحث عن أسرع وسيلة لنقل سمك أسوان .

ولقد طلبت من قسم المعلومات فى الأهرام أن يبحث عن هذين الخبرين فلم يوفق إلى ذلك ، فلعل الأستاذ أحمد يوسف سعد يذكر لنا التاريخين حتى تتمكن من عرض هذه القصة التى أراها أنا غاية فى الأهمية .. وأعتقد أن كثيرا من الشعب يرى ذلك معي .

### حديث إلى الدكتور يوسف إدريس :

شأنى مع الدكتور يوسف إدريس عجيب فما جلسنا معا وقال آراء إلا اتفقت معه فيها ، وما قرأت له شيئا يعرض فيه آراءه إلا اختلفت معه .

أقرب مثل على ذلك ما كتبه فى مفكرته يوم الجمعة الماضى ، لقد تناولت المفكرة جميعها فيلم الكرنك وقصته ، وقد شاء الدكتور أن يرفض رواية نجيب محفوظ الكرنك ويحتفى غاية الاحتفاء بفيلم الكرنك الذى مازال وسيظل قصة نجيب محفوظ أيضاً . وقد عانيت من هذا

بصورة أشبع ومن كتاب بعينهم عندما ظهر فيلم شيء من الخوف عن روايتى شيء من الخوف أيضا . ولكن ذلك تاريخ ماض وإن كان أخونا الدكتور يوسف يجده مع أستاذنا نجيب محفوظ فهو يقول كقاعدة عامة : « لعل من أحسن من يتعرض لنقد القصص هو من يكتبها » والقاعدة مقبولة بشرط واحد هو ألا يفرض القصص نفسه على القصص الآخر . فكل قصص له طابعه ، فإذا كتب عن قصص آخر فحتم عليه أن ينظر إلى طابع القصص الذى يكتب عنه ولونه واتجاهه الفنى غير فارض نفسه عليه .

ويعود الدكتور يوسف ليقول : « حين صدرت - رواية الكرنك - وقرأتها فى حينها وحدثها شبه ريبورتاج صحفى أكثر منها حياة داخلية روائية عميقة عودنا إياها بنجيب محفوظ فى معظم أعماله » .

ولما كنت أكتب الرواية وهى عملى الأساسى ، فقد أصبحت لا أهتم فى كثير أو قليل من كلمات الحياة الداخلية والعمق والمستوى والأبعاد والشكل وغير ذلك من الألقاب التى ألغيت من الناس وألصقت بالأعمال الفنية .

إنما الذى أعرفه ، والذى لاشك أن الدكتور يوسف إدريس يعرفه كل المعرفة أن الكاتب إذا اختار الشخص الأول فى سرد قصته أصبح حرا أن يضع على لسان هذا الشخص كل ما يريد أن يقول فى صراحة تامة لا رمز فيها ولا مواراة ، وبغير خفوت أو مداورة فنية .

وقد كنا جميعا نلجأ إلى الشخص الثالث حين كانت الحياة السياسية تفرض علينا الرمز ، حتى جاءت الحرية وأصبح الرمز سذاجة فنية تدعو إلى الضحك والسخرية .

فيم الرمز وقد أتاحت لك الحرية أن تقول ما تشاء ؟  
لقد كنا نرمز لأننا نخاف على أنفسنا ، فلو كنا كذلك ما كتبنا ،  
وإنما كنا نرمز لأننا نريد لكلامنا أن يرى النور ويقرأه الناس .

وهذا الكلام الذى يقال لنجيب محفوظ عجيب ، وهو الذى كتب  
ثرثرة فوق النيل وميرamar واللص والكلاب ومجموعة القصص غير  
المعقولة وغيرها كثير ، وهو أستاذ الرواية المصرية .

أما النقاد الذين يشير إليهم الدكتور يوسف إدريس ، فهو يعرف  
اتجاههم تماما وما تحولوا إليه من رفض لكل عمل يشير إلى هذه الفترة  
بالطريقة التى تناولتها الكرنك بها . وبعد ، فالذى لاشك فيه أنه لولا  
رواية نجيب الخالدة الكرنك ، ولولا نجيب الشامخ لما وجد هذا المخرج  
البرعم الذى مازال يفض غلاف الجدة عن نفسه .

**\*\* وحديث إلى أستاذنا توفيق الحكيم :**

لقد جاء فى كلمة أستاذنا الأسبوعية التى نشرت السبت الماضى  
بعنوان مأساة العظماء ، أن التاريخ يحاسب الزعيم حتى ولو لم يكن  
مخطئا . ولكن يا سيدى الأستاذ اسمح لى أن أقول إن الزعيم المفرد هو  
المخطئ دائما . وأن فى الشاهد الذى تفضلت فسقته الدليل على ذلك .  
فقد قلت إن المخطئ فى موقعة واترلو هو جوروشى وليس نابليون .  
ولكن يا سيدى الأستاذ من الذى اختار جوروشى هذا ؟ إن الذى  
اختاره هو نابليون . والذى يختار شخصا لمهمة عليه وحده أن يتحمل  
مستوليته ، فالتاريخ إذن يا سيدى لم يظلم حين ألصق التهمة بنابليون .  
فإنه هو صاحبها وليس غيره .

- ١٠٠ -

الأهرام - العدد ٣٢٦٨٣

٤ يونيو ١٩٧٦

## مصطفى محمود ( بين الدين والعلم )

يقوم الدكتور مصطفى محمود بدور هام لأجيالنا من الشباب . فهو يفسر لهم دينهم بصور العلم الذى يتعلقون به ويتوهمون أنه يسيطر على حياتهم وأن سيطرته هذه تجعل الدين خرافة ونوعا من الغيبية .

الإنسان بطبيعته يحب أن يؤمن .. لأن الإيمان فى ذاته ضرورة الحياة . ولقد رأينا الملحددين . فهم جازعون هالعون إن مستهم مصيبة عادوا إلى إيمان مفزع غير مطمئن .

ولقد وجد الدكتور مصطفى نفسه فى النهج الذى انتهجه ، ووجد الشباب فيه ضالتهم التى كانوا يتلمسون فتوافق على يديه العلم الحديث والإيمان العميق . وقد توافرت عند الدكتور مصطفى كل الأدوات التى تمكنه من مخاطبة الشباب .

فهو طيب فى دراسته ، فنان فى هوايته ، وصوفى فى عقيدته . وبهذه المقومات جميعا خاطب الشباب فأحبوا ما يكتب وأقبلوا عليه ، وأصبح الإيمان عندهم متمثلا فى صورة واضحة الملامح بينة المعالم .

فلذلك أنا أخالف الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى فيما ذهبت إليه من أنها كانت تريد الدكتور مصطفى محمود أن يتفرغ للقصة العلمية فإن كتابا كثيرين يستطيعون أن يكتبوا القصة العلمية . وأنا أخالف أستاذتنا الدكتورة حين قالت .. إن القصص مصطفى محمود تاه منا فى

خضرم عميق الأغوار من العلاقات المتشابكة بين العلم والعقيدة أو الدين .

فإن الدكتور مصطفى لم يته منا أبداً ، بل إنه اتضح لنا عن كاتب متمكن فى الطريق الذى أعده له . قدره ودراسته وفنه وتصوفه .

وأخالف أستاذتنا المذكورة فى قولها : إن موضوع الإيمان فى مقابل العلم هو الموضوع الذى ضيع فيه د . مصطفى محمود نفسه مؤلفاً قصصياً . فالذى اعتقده ويعتقده الجمهور الكبير الذى يقرأ له أن د . مصطفى محمود وجد نفسه فى هذا الموضوع .

وأحب أن أناقش المذكورة فيما جاء فى مقالها من أن المجموعة كلها عودة إلى الأسلوب القصصى العلمى الذى برع فيه د . مصطفى محمود والذى تؤهله له ملكاته وثقافته أن يبلغ فيه آفاقاً عظيمة ، لولا أنه غرق فى بحر الإيمان والتدليل على الدين والإيمان بالعلم .. ثم الهجوم على العلم هجوماً لا يتعمق المشاكل تعمقاً عودنا عليه فى قصصه . فأولاً فى بحر الإيمان لا يكون الغرق وإنما النجاة ، وثانياً أن الدكتور مصطفى لا يهاجم العلم بالإيمان وإنما يوفق بين العلم والإيمان . فهو فى كل ما يكتب يحاول أن يظهر قدر الله من خلال العلم ولا هجوم هنا على العلم .

وأنا يا دكتورة لست أدرى لماذا يرمى بالسطحية كل من يتجه إلى الإيمان والدين بعمله الفنى . ولست أدرى لماذا يكون الإيمان سذاجة بينما الأدب الملحد أكثر مباشرة ، فهو دائماً يتقوّل المذهب الإلحادى ويصرخ بإلحاده عالياً ولا يرميه أحد بالسذاجة .

- ١٠٢ -

هل إذا انضوينا تحت أعلام ديننا الذى قوم الأجيال لفترة قاربت ألفا وأربعمائة سنة نكون سذجاً ؟ وإذا ألدنا إلى مذهب لم يستطع أن يطبق حتى اليوم ، وتداعى عنه أنصاره وأفلس فى مدى خمسين عاما نكون تقدميين ؟ وفى كتابتنا عمق وأبعاد إلى آخر هذه الأسماء التى لا مسميات لها عندهم . وهذا الحديث لا أسوقه إليك يا دكتورة فلست والحمد لله - منهم . وهذا الحديث لا أسوقه إليهم ولكنك فيما أخذت على الدكتور جعلتنى أذكرهم .

وبعد ، فإننا مع الدكتورة أن الإسلام لا يشرف بأن حقيقة علمية اكتشفت حديثاً أشارت إليه آياته البينات . فالإسلام نفسه والقرآن هما كل الشرف ولا شرف يمكن أن يضاف إليهما . ولكن هل هناك ما يمنع من ذكر الحقائق العملية التى أشار إليها الكتاب الكريم ؟

وبعد ، مرة أخرى يا سيدتى الدكتورة ، ما أبعد المثل الذى تفضلت فسقته عن أدينا العالم د . مصطفى عمود ، فأين القذافى بجهله وسطحيته وسذاجته وحمقه من عالم أديب تعمق العلم وتعمق دينه وقدمه إلينا فى علم وأصالة وإيمان وبراعة .



- ١٠٣ -

الأهرام - العدد ٣٢٦٨٧

٨ يونيو ١٩٧٦

من مفكرة ثروت أباظة

## القرية بين الحضارة والأصالة

ذهبت إلى قريتي هذا الأسبوع وطريقى إليها كله حقول ، فهكذا طرق مصر الزراعية جميعا ، ولكن حين اقتربت من قريتي وجدت نسمة لها عبق خاص أنست له نفسى .

جزء من كيانى لاقى جزءا من كيانى ، بعض منى هفا إلى بعض منى . أريج زهرة البرسيم مع عيدان القمح المحصود مع بشائر شجيرات القطن من هذا العبق الذى عرفته منذ ولدت والذى أعرفه وإن كنت مغمض العينين ، أنه عبق قريتى .

حين كانت أكياس القطن فى المدحاية تنتظر المشتري ، تتخذ منها نحن أطفال القرية ملعبا ومراحا أملنا أن يطول بها الأمد ملقاة أو واقفة لنختبئ بينها ونجلس عليها ونسمر ، وليس يعيننا رغبة آبائنا الملحة أن تجرد المشتري وتنقل .

رفاق ملعبى صالح أبو عرابى الذى أصبح شيخ الخفراء الآن ، والسيد أبو على الذى أصبح المخزنجى ، وصلاح أبو أحمد ابن العملة الذى أصبح مدرسا أول ، ويوسف أبو عبد القادر الذى كان يصنع لنا السيارات من الطين وأصبح اليوم عامل المكن ، وغيرهم وأصبحوا اليوم هم رجال القرية ، فحين سعى إليهم الحقد ليوقع بينى وبينهم لفظت

نفوسهم بذرة الحقد ، وسقت شجرة الحب بيننا التى نمت فى نفوسهم وفى نفسى .

وأسمع من رجل من رجال السياسة الكبار وضع تحت الحراسة فترة طويلة ، ورفعت عنه هذه الحراسة فى عهد الحرية ، أن الفلاحين فى الأرض التى يملكها والتى وقعت عليها الحراسة كانوا يقصدون إليه جميعاً فى كل عام ، ويؤدون إليه إيجار الأرض كاملاً لا حراسة هناك .

أخلاق بعيدة عن الحقد . وقد دمر الحقد حياتنا فترة من الزمان ، ولكنه جاء عند مشارف الريف وهزمته نفوسهم ووفائهم وحرصهم على هذه المعاني الكريمة التى يعيشون بها حياتهم .

وأذكر هذا ، وأذكر مثال أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود فى هذا الشأن وأحاول أن أرجع إليه فتعيني الخيلة ، وأطلب مكتب المعلومات فى « الأهرام » أستجد به فما هى إلا أن أضع سماعة التليفون حتى أجد المقالة عندى حاضرة من قريب ، وأقرأ :

« أخلاق القرية التى ندعو لها لنجعل منها نموذجاً لسلوكنا ضرورية لحياتنا ، ولكنها وحدها لا تكفى إذ لابد أن تكملها أخلاق المدينة » .  
وأقرأ :

« بل إن الاتجاه العام الذى يسود عصرنا هو تحويل القرية إلى مدينة بالمعنى الحضارى لا تحويل المدينة إلى قرية فالأقرب إلى التصور فى يومنا هو أن يتحول الفلاح إلى عامل زراعى ، بكل ما تحمله كلمة عامل الآن من حقوق فى الأجور والتأمينات والائتمان النقابى وغير ذلك » .

وأذكر ما كتبه أستاذنا الدكتور فى مفكرته الأخيرة وأجده فلاحا مثلنا جميعا ، وأسأله هل هناك ما يمنع أن يتمتع الفلاح بكل هذا الذى ينشده له أستاذنا الدكتور ويظل مع ذلك على أخلاق القرية ؟

أى تعارض هناك بين الحضارة وبين الأصالة فى الأخلاق تلك التى رسخت فى نفوس الفلاحين منذ سنوات تتجاوز الآلاف عددا ؟

الدكتور زكى نجيب محمود من أعظم المصريين تحضرا . فهو من أعلم أساتذتنا وأكثرهم ثقافة واطلاعا على الآداب العالمية والفلسفات القديمة والحديثة . ولكننى مع ذلك أزعم أن أخلاق القرية عامل أساسى فى تصرفاته الخاصة والعامة على السواء ، والدليل بين يدي غير بعيد ، فقد ذكر كيف شعر بالخرج الشديد حين اضطر أن يذكر كل شىء عن نفسه وعن تفاصيل ما يملك وكيف كان يسير فى الطريق يحس أنه يجرى مما يجب أن يسر به نفسه . تلك يا سيدى آثار القرية فى نفسك ، فنحن فى القرية نحب أن تكون شئون منزلنا مقصورة على أهل منزلنا وعلينا .

أما ما يخشاه الدكتور عن الروابط الأسرية التى تجمع بين أبناء القرية فلا شك أنه يعلم أن هذه الروابط تجعل للحياة متعة خاصة وتمكن الإنسان أن يسير بين الناس آمنا . إن له فى الحياة أحضانا دافئة من أهله وذويه وأصدقائه ومحبيه . والا فبئست حياة لا يحدونا فيها إلا المصلحة ولا يلفتنا فيها إلا المادة .

أما ما يأخذه الدكتور من هنات على أهل القرية من أن عامل الزمن ملغى عندهم فأنا أوافق عليه ، ولكن يا دكتور لعلك لا تنسى أن الزراعة عندنا ما زالت على ما كانت عليه عند قدماء المصريين ، وصلة الفلاح بالزمن مرتبطة بصلة الزراعة بالحصاد ، فالزمن جميعه ملغى ولا

- ١٠٦ -

يحتاجون إلى الدقة فيه . ترى هل لو أصبحت الميكنة هي أساس الزراعة يظلون على ما هم عليه من إلغاء الدقة فى الزمن ؟ لا أظن . وإننى أطمئن الدكتور وأحب أن أطمئن معه نفسى على أن التطور الطبيعى للحياة سيلغى كل ما نأخذه على أخلاق أبناء بلدتنا ، وسيبقى على كل ما هو أصيل .

### \* من المسئول إذن ؟

شاء الله لى أن أخرج من مدرسة الحقوق ، وكنا قد تعلمنا هنا مادة اسمها القانون الدستورى . ومن المبادئ الأولية التى مازلت أذكرها ولا أعتقد أننى سأنساها أن السلطة التنفيذية مسئولة أمام السلطة التشريعية . والسلطة التنفيذية هي رئيس مجلس الوزراء والوزراء وكل وزير مسئول مباشرة أمام السلطة التشريعية التى هي اليوم مجلس الشعب . وكنا قد تعلمنا أن الوزير هو صاحب رأى الأول والأخير فى شئون وزارته ولذلك يحرص الدستور أن يطلق على رئيس الوزراء لقب رئيس مجلس الوزراء ؛ لأن رئيس الوزراء لا يرأس الوزراء فى وزاراتهم وإنما يرأس المجلس حين يجمع ، وذلك حتى تصبح مسئولية الوزير كاملة أمام السلطة التشريعية .

ولذلك ، تولانى الذعر حين رأيت السيد وزير الأوقاف يعلن مجلس الشعب أنه غير مسئول عما يجرى فى هيئة الأوقاف . فمن إذن المسئول ؟ وإلى أى وزارة تتبع هذه الهيئة ؟ وهل هناك هيئات لا وزير لها ؟ إن وجدت فمعنى ذلك أن هذه الهيئات لا يسألها أحد . لأن

## - ١٠٧ -

مجلس الشعب لا يسائل إلا الوزير الذى يفرض فيه أنه مسئول عن كل ما يجرى فى وزارته كبيرا ما كبر أو صغيرا ما صغر الموظف بهذه الوزارة .

إذن فالأمر أخطر بكثير من مجرد تصرفات معيبة قام بها رئيس الهيئة .

إن الأمر يتعلق بالنظام العام . هل هذا الموظف يتصرف فى أموال الدولة أم فى أمواله الخاصة ؟ فإن كانت الأولى فأمام أى جهة هو مسئول ؟

وذعرت لأن هذا الذى سمعناه من السيد الوزير يرجح لدينا ما نسمعه عن هيئات أخرى لا يسأل القائمون عليها عما يفعلون . وأقرب مثل إلى ذهنى الآن جهاز الاتحاد التعاونى . فقد سمعنا مما سمعنا أن ميزانيته حصيله ضريبة مفروضة على الفلاحين يدفعونها دون أن يعلموا وهم يتعاملون مع بنك التسليف ، وسمعنا فيما سمعنا أن الجهاز يضم بين من يضم من موظفيه عشرات قد تبلغ المائة من أعضاء مجلس الشعب ، وسمعنا الكثير ترى هل هذا الجهاز أيضا لا يتبع وزيرا مسئولا . وإن كان يتبع ليس بين النواب غير المعينين به من يبحث فى شأنه . وهل نأمل قبل كل شئ أن نعرف الوظيفة الأساسية التى يقوم بها الجهاز لصالح الفلاحين وهل تستحق أن يدفع لها الفلاحون من اللحم الحى ضريبة علم الله أنهم فى أشد الحاجة إليها .

وبعد ، فمعاذ الله أن أتهم بما ليس لى به علم .. إنما أنا أسأل .. فهل من جواب ؟ .

### \* تعليق على تعليق

جاءنى خطاب من السيد مستشار اللغة العربية يعلق به — وكلمة التعليق اخترتها لأكون أنا مؤدبا كما أحب أن أكون — على الكلمة التى

كتبها عن كتاب شوقي وحافظ ، والأستاذ يصحح لى الخطأ الجسيم الذى وقعت فيه ذاكرة أن الكتاب اسمه حافظ وشوقي لا شوقي وحافظ كما ذكرت أنا ، ولعل الأستاذ المستشار لو عاد إلى الكلمة لوجدنى لم أذكر عنوان الكتاب . وإنما قلت أنه كتاب شوقي وحافظ ولم أقصد نص العنوان ومع ذلك فأنا معترف بالخطأ ومعتذر عنه .

ثم يقول الأستاذ المستشار : « إنما الأساس — فيما يقرر على الطلبة — إتاحة الفرصة لتنمية ذاتية الطالب وتدريبه على أن يتذوق ويحكم بنفسه . والمدرس لينمى قدرات الطلاب بفتح مواهبهم دون أن يتحكم فى أذواقهم ، فلكل منهم أن يتدبر ما قيل عن شوقي ويقف منه كما يشاء مؤيدا أو معارضا على أن يرر نظرتة بما يدعمها » .

والحقيقة أننى لم أكن أدري أن المدرس حين يهاجم فى كتاب مطبوع نصا ما هجوما عنيفا فى غير ذوق ولا فنية ولا شعور بجمال الإيحاء الكلى للقصيدة يكون قد ترك الطالب حرا فى نقد النص مؤيدا أو معارضا . ولعل تلك نظرية جديدة فى التربية أو النقد لم أصل إليها بثقافتى القاصرة .

وبعد ، فلغة المستشار التى كتب بها تعليقه تبرر فى وضوح تام لماذا تتهم الكتب المدرسية فى اللغة العربية على أعمدة الأدب عندنا قرب البيت زعيم كبير فى هذا الميدان وما على مدرسيه حرج إن تبعوه .

كم كنت أرجو أن تتوثق صلة السيد المستشار بالسيد وزير التربية والتعليم الذى أجد فيه دائما نموذجا من أرفع النماذج وأسمائها فى الخلق الرضى والأدب الجلم والتهديب الذى يدعو من يعامله إلى الإكبار له والتخل منه فى وقت معا .

— ١٠٩ —

الأهرام — العدد ٣٢٦٩٠

١١ يونيو ١٩٧٦

## فى آفاق الأدب الإنسانى

ظل كتاب الرواية والقصة القصيرة يكتبون القصة الرمزية فترة طويلة من الزمان . وكانت الحالة العامة تدعو إلى ذلك . أما اليوم فلم يعد للقصة الرمزية مكان . فإلى أى اتجاه ياترى ستتجه أقلام الكتاب ؟

كنا حين نكتب القصة الرمزية نخاف أن تأتى بعدنا أجيال وتقرأ هذا الذى كنا نكتبه ، وتعجب لماذا كان يرمز هؤلاء القوم ، ولماذا لم يصرحوا بما يريدون دون رمز أو تخف ، فهذه الأجيال القادمة لن تتصور أن الحرية زالت فى يوم من الأيام . وستظن هذه الأجيال أن الحرية التى تنعم بها أمر مقرر منذ أقدم العصور لم تحتجب فى يوم من الأيام .

وكنا نرد هذا الخوف عن أنفسنا ، بأن على هذه الأجيال القادمة أن تعرف أيضا تاريخ بلادها مع معرفتها بتاريخ أديها . وحتم على الأديب أن يكون ابن عصره معبرا عن الفترة التى يعيشها فى آمالها وآلامها . ما حرمت منه وما تهفو إليه . وحين تعرف أجيال المستقبل حقيقة هذه الفترة التى عشناها ستجد أدبنا هو الصورة الوحيدة التى كان يمكن أن تظهر .

وكذلك كنا نخشى على كتبنا من الترجمة . فالعالم الأوروبى لا يتصور أن هناك مكانا فى العالم فيه هذا الأدب وليس فيه حرية ، ولكن ترجمت لنا بعض أعمال ولم يقل الغرب ذلك ، فإنه يبدو أن المثقفين فى الغرب يعرفون الحقائق عن البلاد الأخرى .

## - ١١٠ -

و كنت دائما أتساءل : ترى ماذا بقى من أعمالنا بعد أن يسقط عنها الرمز ويصبح غير ذى موضوع ، ولكن تبين لى أن القارئ يستطيع أن يجد فى القصة التى يقرأها متعة دون حاجة منه لأن يعرف ما ترمز إليه . وعلى كل تلك فترة ومضت .

وجاءت الآن الحياة التى لا نحتاج معها إلى الرمز .. فقيم نكتب ؟ أتصور أنه يجب علينا أن نكتب فيما كنا سنكتب فيه لو لم يعترض طريقنا زوال الحرية .

وأتصور أننا نستطيع أن نكتب فى المعانى الإنسانية العامة ، تلك التى نظر إليها كبار الروائيين فى العالم وكتبوا فيها أعظم أعمالهم ، مثل مورافيا وشتاينيك وهمنجواى وغيرهم وغيرهم ممن اتخذوا الإنسان كإنسان موضوعا لهم يتابعون نبضه ويستقصون رغباته وآهاته ومواطن ضعفه ولحظات قوته .

عن هذا الإنسان نستطيع أن نكتب الكثير . بل إننا نستطيع حتى أن نستثير ما أقدناه من التجربة المريرة التى خضناها وخاضها معنا الإنسان المصرى . ونستطيع أن نكتب عن الحب والكراهية . عن الحقد والسماحة . عن الخوف والأمن . عن المجهول والزمن ، عن المجتمع حين يقيد والمجتمع حين ينحل .

إننا فى ظل الحرية نستطيع أن نتحرر أيضا من القيود التى كان يضعها المجتمع حول أدبنا طلبا للحرية والسعى إليها ..

لم نكون نتصور أن نرسف فى ذل الخوف والرعب ونتكلم عن الحب والسماحة . كان ضياع الحرية يفرض نفسه علينا وعلى أدبنا .

واليوم نستطيع أن ننطلق إلى آفاق الإنسانية ، وما أرحبها من آفاق ..!



— ١١١ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٠١

٢٢ يونيو ١٩٧٦

من مفكرة ثروت أباطة

اثنين فلاج . . وهات ملیم

أنا من جيل يشرف اليوم على خمسينات حياته . مظلومون نحن جيل الأربعينات الذى ولدنا فى أواخر العشرينات . وحين جاءت الثلاثينات التى كان الجنيه فيها يشتري عمارة ويبقى منه ما يشتري بيتا كنا نحن أطفالا وكان الحصول على القرش فى ذاته عملية تحتاج إلى مناورة ومداورة .

وكنّا فى هذه السنوات نجب أن نتفرج على السينما . وكان أهم ما فيها حلقات الشجيع تومكس وغيره من مشاهير الأبطال . وكنت أظلم الأسبوع كله حريصا أن أبقى على قرش لى وقرش لزميل طفولتى إبراهيم الذى جاء من البلدة خصيصا ليكون رفيق ملعبى .

ثم نتعرض بعد ذلك للرعب الشديد أن يلحظ أحد تغييى وتغييه عن البيت فترة الساعات الثلاث التى نقضيها بالدرجة الثالثة من سينما الأهلى . حتى إذا كبرت بعض الشيء ولم أعد أحتاج لمن يلاعبنى دخل إبراهيم إلى المطبخ سالكا طريقه إلى أن يكون واحدا من الطهاة فى الأسرة وأتممت أنا رحلة الشقاء فى الدراسة .

و حين ألم بنا الشباب فى بواكيره الأولى التقينا به شبابا أسود لانور فيه ، فقد أقبلت الحرب العالمية الثانية ، وأطفئت أنوار القاهرة وأطفئ معها نور شبابنا ، ولولا أن رمت بنا الهواية إلى الأدب والقراءة لقطعناه

## ١١٢ -

شبابا فارغا لا تداعبه أى متعة ولا صخب ، ولكننا نحن الذين أحيينا الأدب وانصرفنا إلى قراءته وجدنا متعتنا وضحيجنا جميعا فى القراءة ، وكنا نجتمع فى بيت أحدنا نناقش ما قرأنا ويمتد بنا النقاش حتى الوهن الأخير من الليل فنقوم إلى بيوتنا ونقلب إلى أهلنا وقد أوهمناهم أننا كنا نذاكر .

وفى ليلة سهرنا فى بيت صديقنا الأستاذ عثمان نويه الذى كان بمثابة الأستاذ لنا ولكن حبه للأدب كان يجعله يشاركنا فى حديث طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد والدكتور حسين هيكل تاركين مربع أرسطو والمنطق والفلسفة والجغرافيا .

وأوغل بنا الليل والوقت صيف والنسمة رخاء ، وقمنا وقام معنا صاحب البيت للمشى على غير هدى .

ولم أجد معى سحائر وقد كان العثور على سحائر فى هذه الأيام ضربا من المعجزات ، ولهذا ظللت بخيلا بها حتى اليوم .

ووجدت دكانا يتخفى وراء الظلام ينير مصباحا خجولا يحيطه بأسطوانة ورقية من بقايا علبة سحائر قديمة . وكان باب الدكان لا يزيد على ربع ضلفة من ضلف الأبواب العادية .

— عندك سحائر غمرة ثلاثة ؟

— لا .

— عندك بحارى ؟

— لا .

— كرافن إيه ؟

— لا .

- ١١٣ -

- ملك مصر أو سفير ؟

- لا .

وانغمست فى حديثى مع صاحب الدكان ونسيت أمر من معى حتى وجدت يدا تنبعت من الظلام تحمل نصف قرش وتضعه على منضدة البائع لتقول فى حسم :

- اثنين فلاج وهات مليم وحياة أبوك .

أدرك الأستاذ عثمان أننى أحادث الرجل بلغة لن يفهمها . فلو كان عنده شىء مما ذكرت لما سهر إلى آخر الليل ليهتبل رجلا لن يزيد على ملايم . وأراد الأستاذ عثمان أن يعلمنى اللغة الصحيحة التى يمكن أن يفهمها . اثنين فلاج وهات مليم . أى أنه يعرف الثمن تماما وقد تعلمت الكثير من هذه الجملة البسيطة التى طالما ضحكنا منها بعد ذلك .

لمن أتكلم ؟ وماذا أريد أن أقول ؟ وكيف أصل بما أريد إلى فهم من أكلمه ؟ تلك هى مشكلة المشاكل أمام الكاتب أو المتحدث .

تستطيع أن تكون أستاذا عظيما فى الأدب ، ولكن هذا لا يجعلك بالضرورة تعرف اللغة التى تخاطب بها من تخاطبهم . فهناك كلام يقال فى المدرج بأسلوب معين وألفاظ بذاتها ، وهناك كلام يكتب فى المجلات المتخصصة . وهناك كلام يكتب للجرائد اليومية ، وهناك حديث خاص للندوات العامة . ومعرفة كل مجال وما يتطلبه من كلام هو الأساس الذى نستطيع به أن نصل إلى الناس .

ولكن كثيرا من الأساتذة يكتبون فى الجرائد اليومية مالا تحتمله إلا المجلة المتخصصة ، وكثير منهم يكتب فى الكتب كلاما لا يسوغ إلا فى الجرائد اليومية . وتختلط الأمور عليهم وعلى قرائهم ويقعون فى

أحاييل « الأستاذة » ويقع الجمهور فى أحاييل الخوف من التصريح بعدم الفهم . حتى لا يقال عنهم جهلاء ويصبح الكلام فى الهواء لا قيمة له ولا يجد له فاهما .. كم يحتاج هؤلاء الأساتذة إلى عثمان نويه ليقول لهم اثنين فلاج وهات ملیم وحياة أبوك .

### \* دعوة كريمة من أستاذ كريم :

كم كان أستاذنا زكى نجيب محمود رائعا فى مفكرته الأخيرة . وإننى واثق أنه لم يصدر فى دعوته إلى إنقاذ تلميذه عن روح الأستاذ بقدر ما يصدر عن روح الإنسان . فلكل أن يعانق المذهب الذى يشاء وله أن يدافع عنه بكل المنطق الذى يملكه . ولكن ليس لأحد أن يصادر رأيه أو يعذبه لأنه صاحب رأى .

إن الإنسان هو أكرم ما خلق الله ، وأى مساس بحريته أو بجسمه أو بمشاعره إنما هو وحشية وهمجية وانتكاس إلى أبشع ما عرفته البشرية من عهود .

فليكن تلميذ أستاذنا هذا شيوعيا أو فوضويا أو ما يشتهى أن يكون ، إنه وحده صاحب الحق فى تكوين عقيدته ولا سبيل لأحد عليه إلا بالنقاش الحر ، ودفع الحجة بالحجة والرأى بالرأى . أما أن يكون النقاش باعتقال الحرية ، وأن يكون رد الحجة بالاعتداء على كيانه البشرى ، ويكون دفع الرأى بالتهديد فى النفس أو العرض أو المشاعر فذلك أمر تأباه الإنسانية التى تسود هذا العهد الذى نعيش فى ظله .

أنا لا أعرف صاحب هذه المشكلة ، كما أننى حين قرأت مقال الدكتور زكى لم أهتد إليه ، ولكننى سمعت البعض يرددون اسمه ،

وظللت مع ذلك لا أعرفه ولا أذكر أنتى التقيت به . إلا أنتى عرفت أنه يعانى هذا الذى يعانىة منذ نحو عشر سنوات ، فهو إذن قطعة منسية من عهد مضى والحمد لله .

وإننى واثق أن الدكتور زكى فى ندائه إنما يستثير المشاعر الكريمة التى يعرفها فى القائمين بالأمر الآن ، ولا شأن للدكتور زكى بالناحية الطبية ، وإنما الذى ننشده أن تنظر فى حالة هذا المستغيث جماعة محايدة من الأطباء . وإننا واثقون بضمائر الأطباء ، أما أولئك الذين كانوا يشرفون على المعتقلات فما هم من الأطباء ولا من الطب فى شىء . والنظرية القانونية تقول إن الشريك فى الفعل مثل فاعله . ولكن الوزر الذى يقع على كاهل المشاركين فى التعذيب من الأطباء أكبر من وزر الشريك العادى . فالمفروض فى الطبيب أن يكون رحيمًا ؛ فهو الذى يأسو جراح الجسم والنفس فإن أهمل فهو مجرم . أما أن يساعد من يحطم الجسم ويسحق النفس فهو شر من مجرم . وعودا إلى دعوة أستاذنا أحبيه من أجلها وإن كانت ليست غريبة على من هو فى مثل خلقه الرفيع وثقافته العالية .

### \* اقتراح إلى التلفزيون :

ترى هل فكر التلفزيون فى تسجيل التراث الأدبى من المسرحيات الشعرية والأعمال الأدبية الكبرى ؟

إنى أقدم إليه هذا الاقتراح راجيا أن يبحته .

لماذا لا تمثل روايات شوقى جميعا وروايات عزيز أبابظه وروايات الشرقاوى وصلاح عبد الصبور فى التلفزيون ؟ وإننى واثق أنها ستجعل

للتلفزيون رصيذا ضخما هو فى أشد الحاجة إليه ، كما أنه سيبيعه إلى جميع تلفزيونات العالم العربى .

وإذا أضفنا إليها روايات الأستاذ على أحمد باكثير الثرية مع تسجيل ما لم يسجل من روايات رائد المسرح العربى توفيق الحكيم ، فإننى أعتقد أن روايات أستاذنا الحكيم وباكثير لا تقل كثيرا فى مستواها الفلسفى والفكرى عن مدرسة المشاغبين .

ولماذا لا يسجل التلفزيون روايات الريحاني على أن يقوم بتمثيلها كبار ممثلى الكوميديا وخصوصا فؤاد المهندس تلميذ الريحاني الأول .  
ألا يكون هذا الاقتراح للتلفزيون مكتبة رائعة تغنيه لمدة عامين أو ثلاثة عن الحرج الذى يعانى به والذى ينعكس على المتفرج المسكين كمدا وغیظا وألما ؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكلمة أحب أن أهتمس بها للتلفزيون ما دمت أتحدث إليه . ترى هل شاهد أحد الحلقة التى سجلتها إحدى المذيعات مع الفنان وانلى . ترى هل نسيت السيدة الفاضلة المذبة أن هذه الحلقة تذاغ فى بلد عربى إسلامى له تقاليده وأخلاقه وقيمه ؟ ولا أحب أن أفصل ما أجهلت حتى لا أخرج نفسى ولا أخرج الفنان ، ولا أخرج التلفزيون أكثر مما هو محرج دائما .

فإن هناك أسراراً فى حياة الناس ينبغى لها أن تستر ويجهل بمن يثيرها أن يكون رفيقا فى مسها إن كان لها أن تثار .

— ١١٧ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٠٨

٢٩ يونيو ١٩٧٦

## حواديت وملحوظة

الحر شديد شديد . والحديث الجاد ثقيل على المتحدث والمستمع معا ، فما علىّ لو حكيت لك بضع حواديت ، وما عليك لو أنك قرأت ما أكتبه لك للتسلية ولإزجاء الوقت .

هاتان حكايتان من صنع الحياة ، ولعلك تريد أن تسأل : فلماذا لا تصوغهما في قصتين وهذه بضاعتك ؟

يبدو أنى لا أجد فيهما شيئا أستطيع أن أصوغ منه قصة . فالحياة قد صاغت كلا منهما ولم تترك لى مجالاً لاجتهاد .

ثم أنا أخشى إذا صغتهما أو صغت واحدة منهما أن تسألنى بطريقتك المعهودة : « ماذا تريد أن تقول بقصتك » وأنت محق . فإنه لا بد لى أن أريد شيئا من قصتى ، أما الحياة فإنها تُولف كما تشاء ولا يجزئ أحد أن يسألها ماذا تريد من قصتى . وهى ليست ملزمة أن تقدم لك حكمتها عن كل قصة تُولفها ، فللحياة حكمتها الكلية الخالدة وليس يعنىها أن تكون لكل حكاية صغيرة لها حكمة قائمة بذاتها .

— ١١٨ —

## \* الحكاية الأولى :

### صداقة ساعات

عن صديقنا علي . كان منذ أيام فى النادى وتعرف هناك بصديق جديد هو خيرى ، وحدث بينهما هذا الشيء الذى يحدث كثيرا بلا معنى ولا تبرير ، فقد أحس كل منهما أنه يعرف الآخر منذ سنوات ، وفى لحظات أصبحا صديقين حميمين .

— أين تسهر الليلة ؟

— عند عصام .

— الله . . أنا الآخر مدعو عنده .

— نذهب معا .

— لا بأس ، أترك سيارتى هنا ونذهب معا .

وذهبا وظلا رفيقين طوال السهرة . وازدادت الصداقة بينهما قوة ،

حتى قارب موعد الرحيل فقالت ربة البيت :

— إلهام ستأتى الآن .

وقال خيرى لعللى :

— أظن أنه حان موعد قيامنا .

وقال على :

— مستحيل لا بد أن أبقى .

— لماذا ؟

— لأرى إلهام هذه .



— ١١٩ —

- أتعرفها ؟
- دون أن . . . .
- كيف ؟
- إنها صديقة لصيقة لابن عمى .
- ماذا تقصد بصديقة لصيقة ؟
- أى معنى تريد أن تفهمه .
- ولكنها متزوجة .
- وتريد أن تترك زوجها لتتزوج ابن عمى المحنون بها والذي ينفق عليها عن جنون أيضا .
- هل أنت واثق ؟
- أقول لك إنه ابن عمى .
- ومرت صاحبة البيت بالصديقين :
- على ، أريدك .
- وقام إليها وهمست :
- ماذا تقول لخبرى عن إلهام ؟
- حكايات .
- سمعتك تتكلم عن إلهام .
- من ضمن الحكايات .
- ماذا قلت له ؟
- أروى له عن حكايتها مع شريف ابن عمى .
- نهارك أسود .
- لماذا ؟

— ١٢٠ —

— لأنه هو زوجها وهما مختلفان في هذه الأيام .

— ماذا ؟

— ما سمعت .

— أين باب الخروج ؟

وهكذا لم تستغرق الصداقة الجديدة أكثر من ساعات في حياة الصديقين ، أى حكمة في هذا لا أدري ؟ أستطيع طبعاً أن أستخرج لك بعض حكم سخيفة : لا تتحدث عن النساء إذا كنت لا تعرف من تتحدث إليه معرفة وثيقة . أو حكمة أخرى أكثر سخافة : لا تتعجل بالصداقة أو ما شئت ، ولكن المؤكد أن الحياة لم تقصد إلى أى حكمة تريد أن تسمعها ، أو أحاول أنا أن أفعلها افتعلاً .

## \* الحكاية الثانية

## الزواج والقدر

لعلنى لم أعرف فى حياتى شخصا أحب زوجته قدر ما كان عبد الحميد يحب زوجته ، فقد كان دائم الفخر بها والإكرام لها . وكان سعيدا أنها تفصل له قمصانه ، وأنها أيضا تعاونه على العيش بالتدبير . وكان يرى فيها الجمال الذى لا يراه فى أحد سواها . . ولم يكن عبد الحميد ساذجا ولا عبيطا . وإنما مارس الحياة ومارسته وعرف فيما قبل الزواج كل ما يعرفه الشباب قبل الزواج من هو ومتعة ، بل ولعله بالغ بعض الشيء فى لوهو ومتعته . حتى إذا تزوج أصبح لا يعرف غير زوجته وعمله والصلاة والصوم والعبادة أعمق ما تكون العبادة .

و كنا حين نلتقى بعبد الحميد نصبح على ثقة أن الحديث لن ينقضى ، أو يأتى بذكر زوجته مرثين أو ثلاثا على الأقل . ولما كان يكبرنا فى السن فقد كنا نخجل أن نعلق على حديثه هذا بغير ما يجب . حتى كان يوم سمعنا فيه عجباً . لم تكن زوج عبد الحميد أهلاً لهذا الحب وهذا الوفاء .

وقد اكتشف هو الحقيقة المروعة ، ولكنه ظل ثابتاً كالطود واجداً فى صلاته وصيامه ملاذه الذى يلوذ به من النكبة النكباء التى تزلزل الجبال الشم .

كانت زوجته فى ريعان العمر ، ولم يكن هو يسبقها فى العمر بسنوات كثيرة ، فكان عدم وفائها لا تبرير له إلا أنها نوع من النساء لا يعرف كيف يكون وفياً . طلق زوجته . ومشت الحياة .

- ١٢٢ -

وعرفت سيدة فاضلة تصلح زوجة لعبد الحميد . إلا أنني أخشى أن أتدخل فى مثل هذه الأمور ؛ فإن الصلة بين الزوج وزوجه صلة لا مثيل لها فى الصلات ، وأخشى أن تكثر بينهما المشاجرات فيلغتنى كل منهما فى كل مشاجرة وأنا لا أحب أن ألعن بغير مناسبة .

إلا أنني استخرت الله وقلت أقوم بالتجربة .

عرضت الأمر على عبد الحميد فرحب . وعرضت الأمر على السيدة وأهلها ، فقالوا لا بد للعريس أن يعلم أنها لا تنجب فقد تزوجت من قبل ولم تنجب .

سألته فقال :

— وأنا أيضا تزوجت من قبل ولم أنجب ولا حاجة بى إلى الإنجاب .  
وتزوجا ، منذ خمسة وعشرين عاما تزوجا .

وقبل أن ينقضى العام الأول جاءنى عبد الحميد .

— لن تصدق .

— ماذا ؟

— زوجتى .

— ماها ؟

— حامل .

— غير معقول !

— تلك إرادة الله .

— أجاد أنت ؟

— تلك إرادة الله .

— ١٢٣ —

ثم أنجبت فتاة أسمياها اسما حبيباً إلى ، وكانهما أرادا أن يشيرا إلى  
أنهما يلعناني كثيرا والفتاة الآن فى السنوات الأخيرة من الجامعة .  
ولكن الحكاية لم تنته بعد .

لم يمر على زواج عبد الحميد عام وبعض عام حتى جاءنى .  
— لن تصدق .

— ماذا ؟

— زوجتى الأولى .

— مالها ؟

— ماتت .

— كيف ؟

— مسكينة .. ماتت لأن زوجها رفض أن يأتى لها بطبيب .

— زوجها ؟

— نعم ، فقد تزوجت الفتى الذى كانت تعرفه .

— إذن ..

— مسكينة .. يرحمها الله .

وانحدرت من عينه دمعان فهو وفى غاية الوفاء حتى لمن لم يف له .  
فى هذه الحكاية انقلبت الحياة إلى قصاص ميلودرامى الحكمة عنده يقولها  
بصوت جهور حتى لا تحتاج منى إلى توضيح . . ومع ذلك لو كنت أنا  
الذى ألقت هذه القصة لما نجوت منك واطللت تقول ما لهذا الكاتب  
أصبح ساذجا لا يعرف حتى كيف يروى قصته فى فنية أو بعض إتقان !  
لهذا تركت الحياة تقدمها إليك لم أتدخل أنا ، وهل ترى أنى أستطيع أن  
أتدخل ؟

— ١٢٤ —

**\* ليست حكاية وإنما ملحوظة :**

فاز الحزب الشيوعى الإيطالى بحوالى سبعين كرسيًا فى الانتخابات الجديدة . ولكن العجيبة أن الحزب الشيوعى نال هذه الكراسى لأنه قدم للناخبين برنامجا ضد الشيوعية .

وعلى الذى يعجب معنى من هذه الملحوظة أن يرجع إلى الوعود التى قدمها الحزب الشيوعى إلى الناخبين .

— ١٢٥ —

الأهرام — العدد ٣٢٧١٨

١ يوليو ١٩٧٦

## الأدب فى عصر العلوم

عجيب أمر هذا الأدب . كيف استطاع أن يخترق هذه الأجيال جميعا ليصل إلينا . كيف استطاع التراث العربى أن يركب الأجيال إلى زماننا هذا . فنعرف ما قاله امرؤ القيس وعنزة والمنخل يشكرى ، ثم يزيد التاريخ فيروى قصصهم بعد أن تناقلتها الأجيال أشياء مسموعة لم تسجل فى ورق ، حتى جاء عصر الكتابة فتمكنت قصصهم وتمكن شعرهم من التاريخ وتصدره ، وراح ينفذ من جيل إلى جيل حتى جاء عصرنا هذا ليروى الشعر الجاهلى وما بعده من أموى وعباسى ، بل إن التاريخ حتى لم يسقط الشعر الهزيل الذى نظم أيام المعاليك والذى يشبه المزحة السخيفة فى تاريخ مصر .

ونفس هذه الدهشة تتولانا مما نقل إلينا من الأدب العربى الرفيع منه والهزيل ، تحافظ عليه الأجيال وتتناقله كمعالم من خطى الحضارة فى البشرية .

ولكن هذه الدهشة تنقلب إلى ذهول حين نجد أن الأدب ما يزال موضع إجلال وتكريم فى هذا العصر الذى تعمق فيه العلم وبلغ ذروة العالم وتسيد الحياة فى شموخ غياف . ومشى الإنسان على القمر وطاول المريخ وداعب الزهرة .

## - ١٢٦ -

ماذا أبقي على الأدب فى عصر العلم الشامخ هذا ؟ وكيف كتب له أن يعيش وأن يظل مزدهرا ؟

بل الأعجب من ذلك ، لماذا يحاول كثير من العلماء أن يكتبوا شعرا أو قصة أو ينتموا إلى دنيا الأدب من أى سبيل ، مع أنهم أساتذة فى علومهم ولا يحتاجون إلى شهرة . ولعل قائلا يقول وأى عجيبة فيما ترى ؟ إن عصر العلم لم يلغ الموسيقى ولا إقبال الناس عليها وعلى الغناء ولكن الأمرين مختلفان كل الاختلاف . وأين الاسترخاء الذى تسلم نفسك إليه وأنت تستمع إلى الموسيقى من الجهد العقلى والتفسي الذى يلم بك إذا أنت قرأت أدبا حقيقاً خليقا بأن يحمل اسم الأدب .

ما الذى يجعل القارئ يبحث عن رواية ويقرأها ، أو عن مجموعة قصص قصيرة أو مسرحية جادة ذات أعماق .

ترى هل لأن الأدب هو علم الإنسان ، والإنسان مصاب دائما بنرجسية لا تبارحه يجب أن يرى نفسه ، ويجب استطلاع ما لا يستطيع منه فكাকা ، يجب أن يعرف أعماق غيره . بل لعله فيما يقرأ يرى أعماق نفسه ويخيل إليه أو يهيم هو لنفسه أنها أعماق غيره .

ما كان أغناه عن هذا . فإن العلم أيضا لم يفلت هذه الناحية للأدب وطلع عليه بعلم النفس الخالص ، وليس على من ينشد تعمق نفسه إلا أن يقرأ كتب علم النفس . وقد يقبل قائل شتان . وأين العلم الجامد الصلب من الرواية أو القصة أو المسرحية ، تتسلل إلى خوافى النفس وإلى خلجات المشاعر ونأμάτων الضمير لتكوّن أخلاق الناس وتربهم الكون جميعا فى أحرف وكلمات .



— ١٢٧ —

ولكن هل يفكر القارئ كل هذا التفكير حين يشتري رواية أو مجموعة قصص أو مسرحية . أم أن الفن الأدبي طبيعة من طبائع النفس الإنسانية تحب أن تسمعه وأن ترويه وأن تنفعل به وأن تستثير به انفعال الآخرين . وإن لم تكن فما سر بقاء الأدب حتى اليوم علما خفقا من أعلام الثقافة العالمية يعتبره الكثيرون أسمى الأعلام وأرفعها شأنًا لأنه يقوم على عنصر الإبداع .

ولعل هذا العنصر هو الذى يجتذب إليه المشاهير من العلماء وغيرهم ، محاولين أن ينتسبوا إلى عالم الأدب واجدين فى ميدانه شرفا لعله أكبر من شرف الميدان الذى ينتسبون إليه فى نظرهم على الأقل .

ثروت أباطة

## كتاب . . يكرهون الحب

إن أى شعب يكره الحقد ولا يقبله . والمفروض فى الكاتب أن يكون إنتاج شعبه . أى يكون ابنا شرعيا للشعب ولأخلاق الشعب . ولكن هناك كتابا فيهم لأخلاق الشعب عقوق . فهم يمثلون روحا كراهية مقبلة ، ويتخلقون بغير ما يتخلق به أبناء شعبهم .  
إنهم معذرون . .

لقد عاش هؤلاء الكتاب واشتد عودهم فى أرض الكراهية وفى أجواء الحقد ، فهم لا يعرفون الحب ولا يحبون أن يعرفوه .  
إن الدماء التى تجرى فى عروقهم حقد . والسائل الذى تمحه أقدامهم كراهية . لقد تغذوا فما تغذوا بغير الحقد والكراهية . ولقد شبعوا وأنخموا فما شبعوا ولا أنخموا إلا بالحقد والكراهية .  
وهم منذ نشأوا يبنون بذور الشقاق بين أبناء هذا الشعب ، ويشعلون نيران المقت ويطفئون إشراقات المودة ويجففون رحيق الحب .  
ولكن الشعب أصيل . رفض مقتهم وحقدهم وظل قلبه نقيا لا يعرف إلا الحب .

وزال زمان الحقد . وجاء عهد يقول إن الحقد هو شر ما يعانى به الإنسان فطار صوابهم . فإنهم بغير هذا الحقد يموتون . إنه النار تشتعل

— ١٢٩ —

بين جنباتهم ويريدون أن يشعلوها بين جنبات الشعب أجمعين ، ولكن  
العهد يقول الحب ، فإلى أى وجهة يتجهون بنار الحقد فيهم ؟  
أيحترقون وحدهم . . . وكيف ؟ . . . أين يفرغون النار اللاهبة فى  
نفوسهم ؟ لا حيلة لهم إلا أن يهتفوا بالحقد ويعظموه ويذروه .  
ولكنهم مساكين . لقد فشلوا أن يذروا الحقد وينموه حين الأرض ،  
أرض الكراهية والأجواء أجواء الحقد . فكيف بهم اليوم وهم يريدون أن  
يذروا الكراهية فى أرض الحب وفى أجواء المودة والتعاطف والتآخى  
والتآزر والحب ؟ حبط سعيهم وخاب رجاؤهم وانتكس عليهم عملهم .  
وتحيا مصر الحبيبة لا ترعى إلا الحب ولا ينتشر فى سمائها إلا الود  
والإخاء . . . تحيا مصر .

— ١٣٠ —

الأهرام — العدد ٣٢٧١٥

٦ يوليو ١٩٧٦

## القانون هو الحياة والحرية

من القواعد القانونية الأساسية أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص ، ومعنى ذلك أن القانون وحده هو الذى ينشئ العقوبات على الجرائم . وهذه العقوبات هى فى الواقع التى تحدد الأعمال المجرمة والتى لا يجرمها المجتمع ، وإذن فالنصوص وحدها هى التى تجعل الفعل جريمة أو غير جريمة .

والمجتمع بغير عقوبة مجتمع بلا قانون ، والمجتمع بلا قانون فوضى ، فتوقيع العقوبة وحده هو الذى ينقذ المجتمع ويجعله صالحا أن يعاش . ولا حياة بغير قانون . إذا اختفى القانون اندحر الاقتصاد وسقطت الحياة جميعا .

وإننا نتكلم كل يوم عن العقاب والثواب . ثم لا نرى إلا الثواب دون العقاب . نسمع عن السرقات ولكن المحاكم تتراخى فى إصدار الأحكام . ولا جناح عليها ولا تثريب ، فإن القضايا تثقل كاهلها وتضطرب تحت أثقال القضايا أن تتأخر فى نظر قضايا المال العام فيزداد اللصوص جرأة عليه ، ويزداد الصمت صمتا والتستر تسترا . لا بد أن تنشأ محاكم خاصة . ومن قضائنا نفسه لا من غيره . وتتفرغ هذه المحاكم لقضايا الأموال العامة . وأرجو أن تكون أحكامها محاطة بكل الظروف المشددة والقانون لا يحتاج إلى تعديل .

## - ١٣١ -

فالعقوبة على السارق الذى كان مؤتمنا على الشيء المسروق أشد بطبيعتها من العقوبة على من لم يكن مؤتمنا عليه .

بهذه الأحكام سيرتدع المجرمون . وبشيء آخر لعله أكثر أهمية أن يحاسب مجلس الشعب كل من يعرف عنه فسادا . ولكن ترى هل يستطيع أعضاء مجلس الشعب أن يحاسبوا على الفساد . أو على الأقل هل يستطيع الموظفون منهم أن يحاسبوا وزراءهم ؟ فمن عجب ينبت صوت يقول إنه ليس من الحتم أن نأخذ بما تأخذ به الدساتير الأخرى من عدم السماح لعضو مجلس الشعب بالجمع بين الوظيفة وعضوية المجلس . ولو أنعم صاحب هذا رأى النظر متجردا من كل الدوافع فيما عدا الحق الذى يعرفه ويحيد عنه ، لوجد أننا لا ندعو هذه الدعوة لمجرد إجماع الدساتير عليها ، وإنما لأن الموظف عند الوزير لا يستطيع مساءلة الوزير والقوانين لا بد لها أن تراعى المشاعر البشرية الطبيعية .

أما القول بأن أعضاء مجلس الشعب سيلقون التشريد والهوان إذا هم لم يجمعوا بين عضوية المجلس وبين الوظيفة فأمر يدعو إلى الدهشة ، إن كان المقصود أنهم بعد انتهاء مدة عضويتهم سيلقون هذا التشريد وهذا الهوان . فما أيسر أن تهيب الدولة لهم العودة إلى الوظائف التى كانوا يشغلونها مع العلاوات المستحقة أيضا . أما إذ كان المقصود أن التشريد سيحقيق بهم وهم أعضاء فهو أمر بعيد الاحتمال ، فإن مرتب عضو مجلس الشعب أصبح فى ذاته حصانة ضد التشريد والهوان ، وخاصة إذا نظرنا إلى التسهيلات العديدة التى يحصل عليها أعضاء مجلس الشعب على أنه حرج على الدولة أن ترفع مكافأة عضو مجلس الشعب إلى ضعفها أو ثلاثة أضعافها ، بشرط ألا يجمع بين الوظيفة والعضوية . إن

## - ١٣٢ -

الجمع بينهما إلغاء تام للديموقراطية وعدم الجمع تثبيت لركن من أهم أركان الديمقراطية التي تقوم على محاسبة السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية .

### خطاب في البريد

سيدة لم تذكر اسمها ، ولكنى أقدم حالتها إلى وزير عرف بين الناس بالعدل المطلق وبالإنسانية . وهو الفريق الجسمى .

إنها زوجة تزوجت زوجها وهو معفى من التجنيد واطمأنت بهما الحياة وأنجبا ثلاثة أطفال ، ولكن بعد ثلاث عشرة سنة فوجئا بقانون ظهر وطبق بأثر رجعى مؤداه أن يرتفع سن المطلوبين للجندية إلى الخامسة والثلاثين . وهكذا وجد الشاب الذى مضى على زواجه ثلاثة عشر عاما نفسه مطلوبا للجندية . ووجدت الأسرة نفسها ضائعة كهباءة هائمة . وسارعت زوجته تكتب مأساتها إلى مجلس الشعب وأرسلت صورة من خطابها إلى .

والسيدة ذات كرامة فهى لم تذكر اسمها أو اسم زوجها جاعلة من الأزمة التى تعانيها مشكلة عامة جديرة بالاهتمام دون نظر إلى أسماء . وإنى واثق أن الفريق الوزير سيجد حلا لهذه المشكلة التى لاشك أن كثيرا من الأسر تعاني منها عناء شديدا .

— ١٣٣ —

### رجال الفكر والتماثيل :

يعتبر رجال الفكر فى جميع أنحاء العالم المصاييح الذين سارت البشرية على هداهم . وكلما زادت الحضارة فى دولة زاد اعتزازها برجال الفكر والأدب فيها .

وما من دولة زرتها فى أوروبا الشرقية أو الغربية إلا وجدت تماثيل الأدياء ورجال الفكر ترصع ميادينها ، شهادة على أنها دولة ذات سبق فى ميادين الفكر والفن .

البلد الوحيد الذى تتخفى فيه تماثيل رجال الأدب والفن وراء الجدران هى مصر . تماثيل قليلة ومستورة أيضا وكأنما نخجل أن بلادنا قد ولدت رفاعة رافع الطهطاوى ومحمود سامى البارودى وأحمد شوقى وطه حسين وسيد درويش وغيرهم ممن تركوا بصمات فنهم على الفن العربى جميعه .

وقد ذكرنى ما كتبه القصاص الراحل يوسف جوهر فى مفكرته يوم الأحد الماضى بهذا التقصير . الذى نصر أن تكافئ به مصاييح حياتنا الفكرية والفنية والذين على مشرق هداهم سار الأدب والفن فى مصر وفى البلاد العربية جميعا .

وفوجئت فى مفكرة الأستاذ يوسف جوهر أن قاعدة تمثال ميدان التحرير خالية . وكأنى لا أمر فى ميدان التحرير عشرات المرات فى اليوم الواحد ولكن الفراغ دائما لا يوحى بشىء . . كانت القاعدة الخالية تتمثل لى وكأننا نبني تمثالا للفراغ أو للإجذاب أو للاشياء وعندنا العمالقة والرواد والشموس .

## - ١٣٤ -

وإننى أتقدم باقتراح أن نقيم على هذه القاعدة الخالية لمثالا لآخر من تركنا من الخالدين ! وهو الدكتور طه حسين .  
 لن نخلد طه حسين بممثال فى ميدان التحرير ، وإنما سنخلد العبقريّة المصرية التى تخرج الأدب العربى الحديث على يديها .  
 بمثله تشرف مصر . ومثله فى مصر ممن يستحقون التماثيل المعلنة كثيرون علينا أن نجد لتمثيلهم الميادين فى الأيام القادمة . وإنما المهم أن نبدأ .

### لا تستوى الحسنة ولا السيئة :

أمر السيد محافظ القاهرة ألا تسير لحوم الذبائح مكشوفة فى الشوارع ، وهو أمر جدير بأن يهنأ عليه السيد المحافظ . والحديث عن بشاعة هذا المنظر ومخافته للذوق يجعل الموضوع وكأنه يحتاج إلى نقاش أو كأنما يختلف فيه رأى ورأى .  
 والقائمون بالعمل التنفيذى بشر يضيقون بالهجوم ويسعدون بالمديح . وكان من الطبيعى أن تؤيد الصحافة هذا العمل من السيد المحافظ . ومن لا يريد أن يؤيد فلا جناح عليه إذا هو صمت . أما أن يتخذ بعض رسامى الكاريكاتير مادة للسخرية فهو أمر يدعو إلى الدهشة والألم فى نفس الوقت .

لماذا تستوى الحسنات والسيئات ، وكيف يقبل هؤلاء البشر من القائمين على السلطة التنفيذية على أعمالهم إذا هم وجدوا أعمالهم جميعا الطيب منها وغير الطيب محل نقد وسخرية ؟



- ١٣٥ -

إننى أهنى السيد المحافظ على هذا الأمر الذى أصدره . وأتمنى لو زاد وأمر أن تغطى عربات القمامة التى نفتح عليها عيوننا فى الصباح فتذكرنا بتأخرنا وتقدم العالم .

إن كان لابد أن تكون القمامة فى عربة صدئة يجرها حمار أكثر صداً فلا أقل من غطاء يذود عن العين والنفس والمشاعر ما تكره .

وبالمناسبة فهمت أنه لا سبيل إلى إلغاء عربات الكارو فجأة دون تمهيد لأن التموين يعتمد عليها ، وفهمت أنه لابد من عام أو عامين حتى يمكن إلغاؤها .

ولكن أليس من المستطاع أن تحدد لها مواعيد سير أو مواعيد عدم سير . وهذه الدراجات غير البخارية التى تحمل فوقها سيارات نقل والتى تتسبب هى وأخواتها من عربات الكارو فى اختناق المرور والناس جميعاً .

ويكفى أن أقول إننى أقطع الطريق من بيتنا إلى الأهرام فى عشر دقائق ماشياً وأقطعه فى خمس وأربعين دقيقة بالسيارة ، حتى نعرف فضل العربات الكارو وما يسمنونها بالتريسكلات على أعصابنا ، ولا حاجة بنا أن نقول أوقاتنا . فقد أصبح هذا الوقت سيفاً يقطعنا دائماً ولا نملك أن نقطعه .

ثروت أباطة

— ١٣٦ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٢٢

١٣ يوليو ١٩٧٦

## مقهى فى عرض البحر الأبيض المتوسط

الصيف عندى هو البحر ولا شىء آخر ، والرياضة كل الرياضة التى أقوم بها عوم عاجز على شاطئ من شواطئ الإسكندرية . وفى البحر الأبيض المتوسط أغرق متاعب عام بأكمله . وأنا فى هذا العام أحتاج إلى محيط فما أحسب البحر يكفى متاعبى ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . فبحسبى هذا الشاطئ الحبيب الذى أهفو إليه كل عام . أسعى إليه فى عامى هذا وأنا لأول مرة فى حياتى أعمل فى مكان ثابت أحمل فيه مسئولية بعينها ، ومن يدرى فرما يشاء القدر أن أغرق وظيفتى أيضا مع متاعبى فى البحر الأبيض . وما يدفعنى إلى هذا القول أى بوادر أو مقدمات ، وإنما هى النفس التى عودت أن تكون بلا وظيفة مدة خمسة وعشرين عاما ولم تعود أن تثبت فى مكان واحد . .

تخرجت فى كلية الحقوق وسعيت إلى الوظيفة سعيا حثيثا ، ولكنى لم أستطع منها نيلا . ولعل أطرف ما مربى فى هذا السعى ما كان بينى وبين عبد الملك بك حمزة رحمه الله . فقد كنت أعرف أنه صديق لأبى ، وأن أبى تمرن فى مكتبه عندما تخرج فى كلية الحقوق . قصدت إليه وهو رئيس مجلس إدارة شركة الملح والصودا طالبا أن أعين بها ، فكان فى كل مرة يقول تعال بعد أسبوع . وفى أسبوع من هذه الأسابيع ظهر

— ١٣٧ —

كتايب الأول ابن عمار فحملته إليه لعله يكون شفيعا . وقال قوله  
الثابتة : تعال بعد أسبوع . وذهبت بعد أسبوع .

— يا ابني أنا لن أعينك ..

— شكرا .

— أنت عبقرى ..

— عبقرى ؟ ! ..

— ولا يمكن أن أدفن عبقرتك فى الوظيفة ..

وهكذا ظلت عبقرتى بلا وظيفة خمس وعشرين سنة أبيع فيها أراضى  
وأنفق من ثمن البيع . وهكذا قدر لى ألا يأخذ منى الإصلاح الزراعى  
قيراطا واحدا . وطبعاً يرجع الفضل فى هذا إلى عبقرتى المزعومة وحدها  
التي رفض عبد الملك بك أن يدفنها بالوظيفة ، ورفضت كل الجهات من  
بعده أيضا أن تدفنها بالوظيفة ، سواء كانت هذه الوظيفة عملا فى  
جريدة أو مجلة تؤهلنى له عبقرتى هذه ذات النوع العجيب ، أو كان  
العمل إداريا أو قانونيا تؤهلنى له شهادة الحقوق التي بذلت فى سبيل  
الحصول عليها ثلاثة وعشرين عاما .

وكنت قبل أن أذهب إلى عبد الملك بك قد طلبت من أبى عندما  
تخرجت أن يكلم الدكتور حافظ عفيفى أن يعيننى كمحام فى بنك  
مصر ، فإذا أبى يقول فى تعفف لم أعرفه فى غيره .

— هل تتصور أن أرفع سماعة التليفون لأقول لأى شخص عين ابني ؟

وخجلت من نفسى وأنا أقول :

— لا . . . لا أتصور .

وهكذا ضعت أنا بين كبرياء أبى وعبقريتى وظللت خمسا وعشرين سنة بلا وظيفة ، وهأنذا أذهب إلى الإسكندرية لأول مرة موظفا فهل ترانى أستطيع التمتع بالإسكندرية كما تعودت أن أتمتع ؟ تلك تجربة جديدة لا بد أن أمر بها حتى أستطيع الإجابة على هذا التساؤل .

فقد تعودنا منذ سنوات طويلة أن نجلس على مقهى داخل الأمواج ، وليس الجلوس على كراسى وإنما هو تحريك الأرجل واليدين بالصورة التى تبقى على جسمونا طافية . وأعضاء المقهى هم الدكتور الدمرداش أحمد وكيل وزارة الصحة السابق وعضو مجلس النواب ومجلس الأمة السابق أيضا ، فقد خرج من مجلس الأمة إلى المعتقل وأصيب فيه بأزميتين فى القلب . وظل فى المعتقل مع ذلك وكل هذا لأنه تجرأ فناقش نقاشا جادا فى أمر هو فيه متخصص وهو الطب الوقائى .

وأما العضو الثالث فهو الدكتور إبراهيم الدمرداش — ولا قرابة بين الرجلين والدكتور إبراهيم الدمرداش رجل ذو شهرة واسعة فى عالم الهندسة ، وقد كان عميدا لكلية الهندسة وهو واسع الثقافة بشكل يدعو إلى الدهول .

والحديث فى الندوة شعر من محفوظ الدكتور الدمرداش أحمد فهو من هواة الأدب الفطاحل ، أو ذكريات من ذكرياته فصلاته الاجتماعية متسعة تشمل العالم أجمع لا أستثنى منه قطرا .

ويروى الدكتور إبراهيم شعرا من شعره فهو عضو فى الجمع . ثم ينتقل بنا الحديث إلى الأزمة الاقتصادية حتى إذا فرغنا منها وحللناها انتقلنا إلى حل أزمت البلاد الأخرى مثل إنجلترا والأزمة الاقتصادية بها وإيطاليا والأزمة السياسية التى تعانىها . فإذا قضينا على هذه الأزمت

- ١٣٩ -

جميعا وأصبحت محلولة فى أمان الله ضربنا فى الماء ذراعا أو ذراعين  
وخرجنا إلى ملابسنا على موعد لقاء فى اليوم التالى .

وحين نلتقى نتبين أن هناك بعض الفروع من الأزمات لم تتعرض لها  
فى أمسنا ففتناولها بالتمحيض ثم بالتشخيص ثم بالدواء ، فتنحل الأزمة  
بين أيدينا بقدرة قادر .

وهكذا نقضى صيفا هائلا على مقهى بين الأمواج . . أترى تتيح لى  
الصفحة الأدبية التى لا بد أن أعرف محتوياتها كلمة كلمة ، والمفكرة  
التى لا مفر من كتابتها كل أسبوع ، أن أقضى صيفا مثل الذى كنت  
أقضى . وإن لم فمن إذن سيحل مشاكلنا الاقتصادية ومشكلة لندن  
وإيطاليا وما يستجد من مشكلات فى أثناء الموسم ؟ لا سبيل لنا إلا أن  
نترك الأمر بكامله لله الذى لا يغفل ولا ينام سبحانه على كل شىء  
قدير .

### القرية وخطبة الجمعة :

كنت أظن أن إخواننا الفلاحين سيعتمدون على الراديو الترانزستور  
الذى انتشر فى القرى انتشارا هائلا فى معرفة دينهم . ولكن العجيب  
أنهم مازالوا يعتمدون على خطباء الجمعة فى معرفة هذه الشئون .  
وبعض هؤلاء الخطباء علماء حقيقة تلقوا علومهم فى الأزهر الشريف  
وتمكنوا من أصول التشريع الإسلامى . ولكن بعضهم يخطب لأن أباه  
كان يخطب الجمعة ، ولقد سمعت أحد هؤلاء يدعو أن يؤيد الله السلطان  
فواد ويعز ملكه وينصر جنده . وكان هذا فى عام ١٩٦٥ .

- ١٤٠ -

لعل هؤلاء الخطباء فى حاجة إلى كتب حديثة تكون فى متناول اليد زهيدة الثمن . وما أعظم أن يؤلف هذه الكتب علماء من فقهاء الوعظ الأئمة .

ولا بأس حتى أن توزع مجاناً دون أى إلزام بالقراءة منها فى الخطبة ، وإنما تترك لمن يريد أن يستعين بها .

إن هذه الكتب لو قام عليها الأزهر الشريف أو وزارة الأوقاف تجعل شرح القرآن الكريم وتعاليمه فى أيد أمينة عليه ، فإن الأمر أخطر مما تتصور إن هو ترك لمن لم يتعمق فى الدين الخفيف والقرآن والسنة . إنه لا بد للناس جميعاً أن يكون الحرام عندهم واضحاً والحلال بيناً . ولا بد لهم أن يعرفوا رخصهم وأن الله يجب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه .

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بأمر الدين يشرحون الدين اهتماماً بالغاً ويكفى أن نذكر حديثه الشريف :

« من أحل حراماً أو حرم حلالاً فليتبوأ مكانه من النار » لنعرف مدى اهتمامه بأن تعرف قواعد الدين على حقيقتها بلا تضيق بمسك بخناق الناس ، ولا توسعه يحلل الحرام ويهدم القيم .

هذا رجاء أضعه أمانة تحت أعين الأئمة واثقاً أننى ناديت مجيها وأسمنت أميناً .

### تحية وعتاب للإذاعة :

من أحسن البرامج التي أعجب بها فى الإذاعة برنامج ثقافى درامى يذاع فى البرنامج العام اسمه من الأدب العالمى . يختارون فيه قصة لأديب عالمى ويقدمونها بعجالة موجزة عن حياة الكاتب ، ثم يقدمون القصة وقد أعدت إعدادا دراميا أجده أنا فى غاية الجمال والإتقان .

إذن فالإذاعة تعرف كيف تكون الدراما رائعة . وهى لا شك تدرك جمال اللغة العربية فى الأذن فهذه القصص تعد باللغة العربية .

العجيب إن البرنامج العام الذى يقدم هذا ، نسمع له تمثيلات لا شك أن مؤلفيها يجهلون الفن الدرامى جهلا تاما . فالحوار مباشر دائما والنصيحة تحبب النصيحة والحكمة تصك الحكمة والذى كنا تعلمناه أن الدراما والقصة والرواية جميعا قد صنعت لتتقذ الناس من النصائح والحكم . فإذا ذكرت النصيحة أو الحكمة فى العمل الفنى سقط العمل الفنى جميعا كأنه لم يكن . والمؤلم أننا كثيرا ما نجد هذا التهافت فى المسلسلات التى تستمر شهرا . . وهذه المسلسلات تحظى باهتمام كبير من المستمعين وما أجمل أن ننتهز هذه الفرصة لنقدم للناس عملا فنيا مرتفعا يستطيع أن يرتقى بالنوق العام .

ولست أدرى لماذا تقتصر التمثيلات الإذاعية على اللغة العامية فيما عدا برنامج من القصص العالمى . ألا تستطيع أن تقدم أيضا من القصص العربى ، ونجعل الناس يسمعون لغة عربية بعد أن كادت تكون غريبة عليهم ؟ إنه مجرد أمل فهل إلى تحقيقه من سبيل .

ثروت أباطة

الأهرام - العدد ٣٢٦٩٤

١٥ يوليو ١٩٧٦

## ويل للتاريخ من هؤلاء المؤرخين

فى زميلة صباحية كتب الدكتور عبد العظيم رمضان مقالا يقول فيه : إن ما نراه الآن من ابتذال وعنف وانحرافات ، إنما تفرضه بقوة واقتدار أوضاع العلاقات الإنتاجية فى المجتمع . . وإننا لا نستطيع أن نغير قيم المجتمع إلا بتغيير علاقاته الإنتاجية .

ثم راح يضرب المثل على ذلك أن قيم الامتلاك للمال أو العقار ، خلقت مجتمع الجنس الجماعى وتبادل الزوجات .

أما النظام الاشتراكى الذى تسوده علاقات الملكية العامة للشعب ، فمن الطبيعى أن تحتفى منه قيم الامتلاك لحد بعيد ، وأن تحتفى معها الأمراض الاجتماعية الناشئة عنها . . ولا غرابة أن تحتفى جرائم الجنس والرشوة والتلاعب بأقوات الشعب ، وغلو الرجل ، وتشتد القوانين فى ذلك حتى تصل إلى الحكم بالإعدام . .

أما بالنسبة للنظام الاقتصادى الإسلامى حيث المال مال الله ولكل إنسان حق فيه وليس لأحد أن يستأثر ( هكذا يقول المؤرخ الأمين ) وتحتفى منه بالتالى العلاقات الرأسمالية المستغلة فمن الطبيعى أن يفرز قيما أخرى يتضمنه قانونه الأعظم وهو القرآن الكريم .

ويسوق الأستاذ الجليل رأيا فريداً أن مصادرة الأموال حق على كل زيادة غير معقولة فى الأموال ، حتى ولو كانت لمجرد الشبهة كما فعل عمر مع سعد بن أبى وقاص وخالد بن الوليد وأبى هريرة وعمرو بن العاص إذ أخذ نصف أموالهم دون مقابل وضمها إلى بيت المال .



ثم يزداد الدكتور إيفالا فيها ذهب إليه قائلا بأن أصحاب الفضيلة في بلادنا يشنون غزوات دون كيشوته ضد الشيوعية غافلين - كما يرى - أن الشيوعية هي التي تحمل روح الإسلام وتعاليمه .  
ذلك هو مجمل ما قال الأستاذ الدكتور المؤرخ ، وأنا الآن حائر معه .  
بأى أسلوب أجيبه . هل آخذ كلامه مأخذ الجسد وأفنده بما يعرفه . أم أضحك منه وأترك كل مسلم وغير مسلم يشاركني في الضحك .  
فبناء على رأى الأستاذ أصبح حتما علينا أن نسميها روسيا الإسلامية لا روسيا السوفيتية . وحتما آخر علينا أن نولى وجوهنا نحن المسلمين شطر الكرملين ليكون قبلتنا بدلا من الكعبة التي يلتف حولها أولئك الذين يحاربون الشيوعية عن غفلة منهم بما تحمله تعاليم الكرملين من إسلام .

الاجتماع الرأسمالى فاسد وما شأن هذا بتعاليم الإسلام ؟ ثم إننا نعرف فسادة لأنه ينتقد نفسه حتى لنعرف كل خافية من أمره ، أما الاجتماع الشيوعى فيغلق ومن يتنفس فيه بكلمة حق فمصيره الموت أو الطرد أو التشريد أو الهوان . ولو قلنا إن الكتاب مثل يسترنك وسلجستير ينشدون الحرية كل الحرية وأنهم ليسوا المقياس الذى يعتمد عليه ، فماذا نحن قائلون عن ساخاروف أبى القنبلة الذرية الذى وصف الاجتماع الروسى وصفا أقل ما يقال فيه أنه يتنافى أو يتجافى مع وصف مؤرخنا المصرى الصميم .

وهل صحيح أن غريزة الامتلاك محيت من النظام الاشتراكى ، فماذا عن حمام السباحة المغطى ذى الماء الدافئ الذى كان يملكه خروشوف ؟ وماذا عن رئيسهم الآخر الذى يهوى جمع السيارات وكأنها طوابع

بريد ؟ . وماذا عن الامتيازات الطبقية التي ينعم بها أعضاء الحزب بصورة لا مثيل لها فى أعتى الدول الرأسمالية .

وما حكاية عمر هذه ؟ ؟ هل أنت مؤمن بها حقا أم هو تحطيم لكل شريف رفيع من مثلنا . إن ما طبقه عمر هو قانون « من أين لك هذا ؟ » وطبقه على عماله وبالطريقة التي رأى عمر أنها عادلة ، والتي لم يكن لها بديل فى ذلك العهد . أما لو كانت الأموال تصادر لمجرد أنها زائدة لصادر عمر عبد الرحمن بن عوف الذى ترك ذهبا كان يقسم بالفؤوس ووزع على أولاده العشرة أو الأحد عشر - لا أذكر - فأصبحوا جميعا أغنى أغنياء العرب ولم يصادروهم عمر . وأنت مؤرخ وتعرف خطبة الوداع « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم . . » وأنت مؤرخ ولا بد لك أن تكون قد قرأت وما بى حاجة أن أذكرك . . ﴿أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ ( سورة الزخرف ) ادع إلى الشيوعية أيها الأستاذ ما شاءت لك أمانتك العلمية أن تدعو ، ولكنى أستحلفك ولا أدري عماذا ولنقل بربك ماركس وبنبيك لينين أن تدع الإسلام وتبحث لك عن طريق إن كان هناك لك طريق .

وقبل أن أنهى حديثى هذا إليك لى سؤال :

إن كان الإسلام حافلا بتعاليم الشيوعية ففيم أتعب ماركس نفسه . ومن بعده لبنين . وفيم قتل ستالين أحد عشر مليوناً من الكادحين من الشعب الروسى ليثبت دعائم الشيوعية ؟ ألم يكن ماركس قد درس الإسلام فيما درس من شرائع ليضع نظريته التى تنفى الفرد عن الحياة نفيا

تاما ؟ وإن كان قد درسه ووجده كما ترى شيوعيا فى روحه وبجتمعه فلماذا احتاج إلى إنشاء نظرية جديدة ، لماذا لم يدع إلى الإسلام فتحل المشكلة ونحرق الدماء ؟ وعلى أية حال إن الوقت لم يفت . يستطيع الأستاذ المؤرخ أن يدعو إلى مجتمع إسلامى ويترك المجتمعات الملحدة دون أن يحتاج إلى هذا التعسف فى استخلاص النظريات وتحميل الوقائع التاريخية بما لم يخطر على بال أنها ستحملة .

### تحية إلى طالب أديب :

.. جاءنى خطاب من الطالب الأديب أحمد عبد المنعم القاضى . وكم أنا شاكر له أن أرسل هذا الخطاب . فإن مثل هذه اللغة وهذا الإلمام بالأدب - العربى والثقافة عامة تجعل ظلام اليأس الذى يملأ نفوسنا ينعم بشعاع من الأمل أن بين الشباب من هو على وعى حقيقى بأدبه وبدينه وبثقافة بلاده وثقافة عصره .

وإنى أريد أن أهمس فى أذن أديبنا الشاب . ما إليك قصدت حين قلت إن الشباب يحتاج إلى من يبسط لهم دينهم عن طريق العلم الذى يقبلون عليه . فلو كان الشباب جميعا مثلك لوجدوا هم طريقهم دون تبسيط . إنما أنا أقصد تماما ذلك الشباب الذى جعل فيلما مثل « خلى بالك من زوزو » مستمرا فى العرض لمدة تزيد على ١٣ شهرا ، ذلك الشباب الذى لا يعرف أن ابن النفيس - كما ذكرت - هو مكتشف الدورة الدموية ، والذى لا يعرف أيضا أن ابن حيان هو أول الباحثين فى الكيمياء الحديثة ، والذى لا يعرف الصلة بين الكرسي وآية الكرسي .

فأنت أيها الأخ الأديب لا تمثل جيلك . أستطيع أن أتبين هذا من معلوماتك ومن لغتك على السواء . ولعلك تتفق معى فى رأى إذا عرفت أن خطابك هو أول خطاب يصل إلى من طالب جامعى ليس فيه خطأ إملائى ولا خطأ نحوى مما جعلنى أقرأه عدة مرات فرحا به باعنا فى نفسى كما قلت فى أول حديثى إليك شعاع أمل فى ظلام يأس .

وكما كنت تريد أن تضحكنى بأمثلتك دعنى أضحكك بمثال من هذه الخطابات . فقد جاءنى البريد منذ أيام بخطاب شديد اللهجة يهاجمنى أنا ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ، ويقول إننا جميعا نكتب ونظرنا إلى السينما فهو لا يعجب بها وأن هذا شأنه مع كتب نجيب ويوسف جميعا ثم هو يتساءل فى جدية : أين أيها الأساتذة القصص البوليسية ولماذا لا تكتبونها لو أنكم حقا جادون ؟

واللغة طبعاً من عندى فلا شك أنك أدركت أنه لم يستطع أن يقيم سطراً واحداً دون خطأ إملائى أو لغوى .

هذا الشباب الذى لا يعرف قيمة الرواية البوليسية فى أدب الرواية هو يا أخى النموذج الذى أتحدث عنه ، ومرة أخرى أحبيك .

**لا بد للقانون أن يستقر :**

.. قرأت خيراً هذا الأسبوع أن هناك اتجاهها جديداً إلى تغيير قانون الجمارك بالنسبة للسيارات بعد أن تبين للمستولين أن القانون الحالى يتيح فرصة لبعض الناس أن تشتري بغير سبب .

وقد يكون ما تبين للمستولين صحيحاً . ولكن لماذا لم يقدر المسئولون هذا حين وضعوا القانون بادئ ذى بدء . إن الشرط الأول فى

— ١٤٧ —

القانون أن يتمتع بالدوام والاستمرار . وكثرة تغيير القوانين معناها أننا نعيش في بلد بلا قانون على الإطلاق .

وإن بقاء القانون مع استغلال بعض الناس له خير ألف مرة من تغييره في كل شهر مرة .

إن مثل هذه القوانين تمثل اقتصاد البلاد والحالة القانونية فيها . ولا يمكن أن نتصور أموالا تأتي إلينا وهى تشعر أنها قادمة إلى بلد لا يستقر فيها القانون على حال .

إن المشرعين عندنا يعرفون تماما معنى أن يتغير القانون . ومهما يكن الضرر المتحقق من قانون ما فإنه أقل أثرا من الاضطراب العام الذى يجعل المال الأجنبى مذعورا فهونا ما فليس الأمر بهذا القدر من السهولة . إنه مستقبل شعب بأكمله . ولا بد أن يعى المسئولون الذين يغيرون القوانين أى خطر يشيع من هذا التغيير الذى لا تبدو له نهاية .

— ١٤٨ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٢٥

١٦ يوليو ١٩٧٥

( عندما يلوى الناقد لسانه )

هناك

فئة من الناس تتعالى على أدبنا وموسيقانا وفنوننا التشكيلية ، فالأدب متأخر ساذج ، وأين القصة عندنا والرواية من القصة أو الرواية الأوربية .. وأين الموسيقى العربية المتأخرة من السيمفونيات والموسيقى الغربية الرفيعة . . وأين الرسامون من أعلام الفنون التشكيلية فى العالم المتحضر ؟

هؤلاء الناس ضعاف . لا ثقة عندهم ببلادهم ولا بتراثهم . وهم حتى فى تقديرهم للفنون الغربية مقلدون وليسوا أصلاء . فإننا نستطيع أن نعجب بالفنون الغربية ولكن الذى لا شك فيه أننا لا نستطيع أن نصل من أعماق هذه الفنون إلى المدى الذى يصل إليه أبناء بيئتنا الذين تقدم لهم هذه الفنون .

فكل فنان هو فى الحقيقة نبت البيئة التى ولد بها ولا يستطيع أن يعرف القيمة الحقيقية لفنه إلا أبناء بيئته .

وحين أقول البيئة لا أقصد دولة وإنما أقصد البيئة العامة التى تسود المجتمع العربى من شرقه إلى غربه .

ولكن الكارثة الحقيقية التى منى بها أدبنا أن نجد بين نقادنا من يلوى لسانه باللغة الأجنبية وهو ينقد أعمالنا المصرية رافضاً تماماً ما نقدمه ، عاقداً دائماً المقارنة بين أدبنا وبين الأدب الغربى .

والأمر الذى لا شك فيه أن هذا الناقد لم يستطع أن يتعمق أسرار الفن الأدبى العربى ولا الفن الأدبى الغربى .

فهو يرفض تراثه ويرفض وطنه وينظر إلى تراث أجنبى ووطن غربى . ولكن التراث الأجنبى غريب عنا والوطن العربى هو الذى يرفضه فى هذه المرة لأنه ليس منه ولا يستطيع أن يقبل حكمه على أدبه ولغته بنفس الثقة التى يقبل بها حكم الناقد الغربى على أدب بلاده ولغتها .

هذا الناقد مسكين . لا هو متمسك بأصوله وبيئته وعرويته ولا هو استطاع أن يلحق نفسه بالأدب الذى يريد أن يتمى إليه ويرتمى بين أحضانه .

إن القصة والرواية والمسرحية عندنا نظرت - على طول طريقها - إلى الأدب الغربى وأفادت منه ولكن مع طول الممارسة أصبحت هناك قصة مصرية عربية ومسرحية مصرية عربية ولو أن المسرحية المصرية هى الغالبة .

فحين كتب الدكتور محمد حسين هيكل رواية زينب ، وحين كتب تيمور الكبير ولا شين القصة ، وحين كتب أستاذنا توفيق الحكيم المسرحية أطال الله عمره . . لم يكن هناك أصول ينظر إليها هذا الرعيل الأول إلا الأصول الغربية .

ولكن حين أخذت الرواية مسارها بعد ذلك على يد طه حسين وتوفيق الحكيم والمازنى وجاء الجيل التالى من نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله والسباعى وعبد القدوس والشرقاوى ، ومن محمود تيمور ومن بعده يوسف جوهري ومحمود البدوى وأمين يوسف غراب أصبح للرواية والقصة المصرية العربية تراث . وإن كان الشأن فى المسرح غير

— ١٥٠ —

الشعري مختلفا . فالذين تأثروا بمسرح الحكيم الشاهق أنتجوا مسرحيات باللغة العامية ، ولا نكاد نرى من سار حتى دربه من الجيل التالى له إلا على أحمد باكثير .

إن الناقد المتفرنج يقف من الإنتاج الضخم الذى قدمه هؤلاء جميعا وغيرهم من جيلهم ومن تلاهم موقفا متعاليا مقارنا فى لسان ملتو بلغة أهل الفرنجة رافضا أو شبه رافض دون حتى أن يكون عادلا فى حيثيات رفضه .

ولهذا لم يكن غريبا أن يرفض القارئ مثل هذا الناقد . فالكتاب المصريون عرب ويكتبون لمصريين عرب واللغة بينهم واحدة والمنبت واحد والبيئة هى نفس البيئة . فمن يتعالى على بيئته لا بد أن يقبل الجزاء الطبيعى وهو أن ترفضه بيئته .



— ١٥١ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٢٩

٢٠ يوليو ١٩٧٦

من مفكرة ثروت أباطة

### عاشق الليل

سبحان الخالق العظيم جعل كل فرد من الناس نمطا مستقلا بذاته له مشاعره الخاصة وشكله الخاص وأفكاره التي تتخلج في أعماق نفسه ، لا يعرف أسرارها إلا الخالق سبحانه . ثم جعل لكل إنسان بصماته الخاصة التي لا يتمثل فيها اثنان في العالم . كأن هذه البصمة هي توقيع لفنان انتهى من عمله الفنى .

من هذا الشتات من الأفكار ومن المشاعر ومن التركيب الخلقى والخلقى تتكون الشعوب ومن هذه الشعوب تتكون البشرية .

فكل نظرية لا تدخل في حساباتها أن للإنسان مشاعر ورغبات وآمال وآلام وعواطف تضطرب بين الحب الجارف بلا حدود والكراهة القاتل لا يردده شيء ، — نظرية لم تخلق للإنسان وقد تصدق على الآلة الصماء بلا مشاعر لها ولا آمال ولا آلام .

فى قرى أنماط الناس على كل صنف ولون . ولكن بعض أشخاص لا يستطيع النظر أن يعبرهم بغير إنعام وتمعن .

عبد الحليم حسون : عرفته أول ما عرفته خفيرا نظاميا فى القرية . وكان عمدة القرية معجبا به أشد الإعجاب فهو أول من يتسلم سلاحه فى صفار الشمس وهو آخر من يسلمه بعد أن يصلى الفجر .

ولا يأتى جزء من الليل على عبد الحليم إلا وهو يقظ لا ينام . فعبد الحليم يحب الليل ولا يطيق أن يفلت منه لحظة دون أن يعيشها بأكملها ،

بأعماقها جميعا ، ويستمتع بكل ما فى الليل وهو يستمتع بالليل على أى صورة له فهو يحبه أسود قائم الظلمة معتما . وهو يحبه والنجوم على صدر سماءه . وهو يحبه والقمر يحيله إلى هذا اللون الأزرق الذى يشيع فى النفوس الحب للحب والهوى للهوى والشفافية الشاعرة الرقاقة . ويسعد بغلالة القمر نسجتها يد الفنان الأعظم . ويلقى عبد الحليم نفسه فى هذه الغلالة سعيدا لا يدرى لسعادته سببا ولا يريد أن يدرى . وكأنما أدرك بحسه البدائى الصادق أن التغلغل فى أسباب السعادة يدمر السعادة . إنما هى لحظة إشراق تومض فهو بها فى نشوة ولا يعنيه من بعد من أين جاءت هذه الإشراق ، وكم ستمكث ومتى ستولى عنه ، وإنما هو يلقي نفسه إليها فالدنيا جميعا هى لحظته تلك وليكن بعد ذلك ما يكون .

وما عرفت فى حياتى شخصا يقلس الحرية مثلما يقدها عبد الحليم .

أحب وتزوج وأنجب بنتا . وما أن جاءت البنت حتى تكشفت زوجة عبد الحليم على حقيقتها . لقد أرادت أن تفرض سيطرتها عليه فلا يقلت إلا من يدها ولا يخرج إلا بإذنها ولا يصادق إلا بأمر منها . واتخذ قراره الحاسم .

الوقت شتاء ولكن لا يهمه . وهو يسهر الليل كله فى درك الخفر وللجسم حقوق لا بد أن تؤدى . . فإذا خرج من بيته فى أى يأوى ؟ لم يفكر ، كان قد اتخذ قراره .

لم يعد بعد ذلك إلى بيته والتمس من حقل شجرة ونام . وأصبحت الشجرة بيته .

— ١٥٣ —

- وحاولت الزوجة أن تسترده بكل الوسائل التى تعرفها المرأة فلم  
تفلح ، فحاولت أن تسترده بالوسائل التى تعرفها القرية ففشلت .
- إن ما بينى وبينك ورقة الزواج أستطيع أن أجعلها فى أى لحظة  
ورقة الطلاق ، وأنا لا أريد أن أفعل هذا من تلقاء نفسى من أجل بنتنا ،  
لن أطلقك إلا إذا طلبت هذا .
- عد وافعل ما تشاء .
- إن المرأة التى تحب أن تسيطر لا تصلح لى .
- قلت افعل ما تشاء :
- أنا لا أريد إلا أن أكون حرا .
- فكن حرا .
- لن أكون حراً إلا وأنا بعيد عنك . .
- وبينتك ؟
- ما دمت فيه فهو ليس بيتى .
- وأنا كيف أعيش ؟
- هذا شأنك ما دمت تعرفين كيف تسيطرين فلا بد أنك تعرفين  
كيف تعيشين .
- وبينتك ؟ !
- لن ينقص ابنتى شىء إلا أن أكون أنا موجودا .
- أنت تعرف كم تحبك .
- أنا طول الليل فى الدرك تستطيع أن تأتى إلى عندما تشاء . وهى  
تعرف كيف تجدننى دائما .
- أليس هناك أمل ؟

- ١٥٤ -

- أما أنا فأملئ كله أن أكون حراً وقد صرت حراً .
- وهكذا اتخذ عبد الحليم قراره ونفذه ولم يجد معه حديث زوجته ولا شفاعة أصدقائه . ولم تجد زوجته سبيلاً إلا أن تلجأ إلى العمدة تستعينه على زوجها .
- ارجع يا ولدى إلى زوجتك .
- وما دخل هذا في عملي يا حضرة العمدة ؟
- إنني أمرك .
- سعادتك تستطيع أن تأمرني بما شئت فيما يتصل بعملى أما ما يتصل بزوجتى فلا يأمرنى أحد .
- حتى ولا أنا .
- وما دخلك أنت يا حضرة العمدة فيما بين الزوج وزوجته .
- أنا عمدة البلد يا ولد . . هل جنت ؟
- يا حضرة العمدة أبقى الله عليك العمدية . ولكن هل تستطيع بالعمودية أن تجعلنى أقبل زوجتى . . وإذا كانت كريهة إلى هل تستطيع أن تجعلها حبيبة يا حضرة العمدة ؟ الله وحده هو الذى يملك القلوب ..
- والصلة بين الزوج والزوجة لا يعرف أسرارها إلا الزوج والزوجة . إنها صلة لا مثيل لها فى العالم ولا تكون بين اثنين آخرين أبداً فلا هى نفس الصلة بين الابن وأبيه ، ولا هى الصلة بين الابن وأمه ، ولا بين البنت وأمها .. صلة عجيبة أنشأها سبحانه على نظام خاص فكيف تتصور أن تتدخل فيها بأوامرك يا حضرة العمدة ؟
- الله .. الله .. الله .. ما كل هذه الفصاحة ؟
- ولكنى على حق .

— ١٥٥ —

— إذن فأنت مرفوت .

— سبحانه .. لا يترك أحداً جائعا .

لم يكن المرتب يعنى عبد الحليم .. فهو يعرف أنه سيعيش ولكنه حزين أنه حرم من الليل .. ولم يدم حزنه طويلا .. لقد كنت أسهر لأننى خفير فماذا بى لو سهرت لأننى حر . سيضحك منى الناس . ولكن ما شأن الناس بى ؟ لقد رقتنى العملة لأعود إلى بيتى ولكن ما الحرية إذا أنا لم أعتصبها اغتصابا .

ومنذ ذلك اليوم وعبد الحليم لا ينام فى البيت أبداً . فى الشتاء العاصف والرياح تعوى فيختلط صوتها مع صوت الذئاب ، والمطر ينهمر فيدق الأرض وكأنه عديد من العصي الغليظة ، وطرقات القرية وحقوقها لا يبدو فيها أنس أو وميض من نور ، تجدد عبد الحليم فى العراء كل ما فعله لنفسه ليتقى لذعة البرد كيس فارغ من أكياس القطن مبطن بقش الأرز يغمر عبد الحليم نفسه فى داخله وينظر إلى الليل . فهو يحبه أيضا حين يعصف وينهمر مطره وتعوى ذئابه ورياحه .

وعمر الأيام لتصبح سنوات وتكبر ابنة عبد الحليم ويأتى لها من يريد الزواج بها ، وتتزوج فى بيت عبد الحليم مع زوجها حتى لا تترك أمها وحيدة .

وعمر أيام أخرى وتموت زوجة عبد الحليم .

وتقصد البنت إلى أبيها .

— أبى قد كبرت ولم تعد تستطيع أن تظل على هذه الحال .

— وما هذه الحال ؟

— تحتاج إلى لقمة طيبة وهدمة نظيفة ونومة هادئة .

— ١٥٦ —

- أما اللقمة فأنا كما تعلمين لا يغريني الطعام ، وأما الهدمة ...
- أعرف .. أعرف إنك أنظف إنسان في القرية ، ولكنك يا أبى أنت الذى تغسل جلبابك كل ليلة .
- من يريد أن يكون حراً لابد أن يكون نظيفاً .
- والنومة الهادئة .
- أتحسين يا ابنتى أننى أنا فى العراء لأنى لا أجد بيتاً .
- أتحب أن تنام فى العراء ؟
- قولى لى .. كيف أعيش منذ تركت الخدمة ؟
- تؤدى الطلبات لأصدقائك فى البلاد الأخرى وفى البندر مقابل أجر ضئيل .
- يكفى لقمتى وسيجارتى .
- وما شأن هذا بنومك فى العراء ؟
- هل أعلم سقفا عند أصدقائى هؤلاء . إنما أريد أن أرى الليل وأقيم فيه ، إنه يخيل لى أن الليل نفسه لا ينام إلا إذا رآنى أنام تحت سمائه .. أنا يا ابنتى مخلص لأصدقائى كما تعرفين .. الليل هو أحب أصدقائى إلى وهو أيضاً أوفى الأصدقاء لى .

ثروت أباطة

— ١٥٧ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٣٢

٢٣ يوليو ١٩٧٦

## ( الأدب الحديث والتراث )

الرواية والقصة والمسرحية ألوان وافدة إلى الأدب العربى ، واعتقادى أن واجب الأدباء المحدثين أن يشتوا هذه الألوان الوافدة فى الأدب العربى .

وقد قال الدكتور زكى نجيب محمود فى حديث رائع له : إنه لا يكفى أن تنادى بتثبيت الألوان الوافدة ، وإنما لا بد أن تعمل على ذلك بأدبك أنت الذى تنشئه .

فحين نظم شوقى مسرحياته الشعرية ضرب المثل لمن يشاء أن يتبعه فى الوسيلة التى يمكن بها تثبيت المسرحية على أصول من تراث الشعر العربى .

وتطورت الفكرة عند عزيز أباظة ، فبعد أن كان الشعر هو أهم ما يعنى شوقى به فى المسرحية ، وجدنا عزيز أباظة يمنح البناء المسرحى اهتماما يكاد يتساوى مع اهتمامه بالشعر ، ثم جاء عبد الرحمن الشرقاوى فاعتمد على اللفظ العربى وعلى التفعيلة الواحدة فأصبح الشعر أكثر طواعية له ، وتبعه فى ذلك صلاح عبد الصبور فأصبحت المسرحية الشعرية مطمئنة الأصول فى الأدب العربى .. أو هى على الأقل أكثر اطمئنانا من المسرحية الثرية التى وضع أسسها أستاذنا توفيق

الحكيم ، ولم يجد من يسير فى الطريق الذى أنشأه إلا على أحمد باكثير فى بعض مسرحياته .

ولكن أين هذا مما كان يؤلفه أستاذنا الراحل توفيق الحكيم ؟  
لقد وجد من يقلده فى التمثيلية العامة ، ولكنه لم يجد من يسير على نهجه وخطاه فى التمثيلية العربية التى تجعلها تثبت فى اللغة العربية وتعمق رواسيها وتشتد سواعدها .

أما فى القصة والرواية ، فإن الأمر مختلف فإن أغلب الذين رادوا طريقها اختاروا اللغة العربية فى السرد ولو أن بعضهم أثر أن يكون الحوار عنده باللغة العامة .

وهم أيضا حين اختاروا السرد العربى لم يعتن كثير منهم بحلاوة اللغة ونغمتها الموسيقية . ولست أعنى طبعاً أن يكتبوا رواياتهم بلغة المنفلوطى ، ولكن الذى أعنيه أن يكون اهتمامهم بجمال اللغة الجمال الذى يتواءم مع عصرنا وذوقه الأدبى .

وهذا لا يأتى إلا بالمعرفة الكاملة باللغة العربية وبجواسها وموسيقاها وأثر كل لفظة من ألفاظها فى الأذن والنفس .

ومن عدم الاهتمام باللغة نشأت طائفة من النقاد تنادى بإسقاط اللغة العربية واللفظ العربى والجمال الأسلوبى ، مدعين أن جمال الأسلوب يقف حائلاً بين القارئ وبين أعماق القصة . واللجوء إلى هذه النظريات الهلامية يجعل مناقشتها خيفة لمن لا يعمل فى الميدان . ولكن لعل أيسر وسيلة للنقاش هو ضرب الأمثلة . فمثلاً نجد نجيب محفوظ يهتم باللغة ويبقى على الحوار عربياً دائماً ، ومع ذلك فالقارئ يفهم عنه ما يريد وينفذ فى يسر إلى أعماق أعماله الفنية .



— ١٥٩ —

فالقضية إذن عند هؤلاء النقاد لا تزيد عن رغبة جامحة فى تحطيم اللغة العربية لغرض فى نفس اليعاقب ، إذا صح هذا الجمع لكلمة يعقوب ذى الغرض .

ومن ذلك فهم يرهقون أنفسهم ويحملونها مالا تطيق . فإن اللغة العربية باقية وإن رغمت منهم الأنوف ، والعنصر الجمالى فى الفن الأدبى سيظل عنصرا أساسيا مهما يرجف به المرجفون .

ثروت أباطة

- ١٦٠ -

الأهرام - العدد ٣٢٧٣٦

٢٧ يوليو ١٩٧٦ .

## لبنان . . دولة تنتحر !

حين اغتصب أبناء صهيون أرض فلسطين العربية أنشأوا بذلك جريمة لم يعرفها العالم منذ اغتصب أبناء أمريكا أرض الهنود الحمر ، مع فارق كبير . كان الهنود الحمر آنذاك شعبا متأخرا عن ركب الحياة واستطاع الوافدون من طريدى الشعوب وسفاحيها ولصوصها أن يأخذوا منهم أرضهم غصبا وعنوة ، ولكنهم مع ذلك لم يشردوهم فى أقطار الأرض وسمحوا لهم بالبقاء وإن كان بقاء مفزعا أسقطوا فيه كرامتهم وامتهنوا إنسانيتهم .

أما اليهود فقد استلبوا الأرض العربية بعون من الدول الكبرى ، وبالخداع وبالسلاح وبكل وسيلة بعيدة عن كل معنى من معانى الشرف أو الخلق .

وشرد أبناء فلسطين فى عرض الحياة وتكون شعب بلا مأوى . ولكن لماذا ننتظر من اليهود غير ذلك وهم أعداء للعرب منذ ظهور الإسلام . كانوا طوال تاريخهم الأسود عوناً على النبى ودينه ثم حرباً على أتباع النبى ودينه .

والغدر من العدو أمر منطقى لا يدعو للدهشة .

وليس أمر الدول الكبرى بمختلف عن أمر الصهاينة . فهم لم ينسوا عداهم للعرب ومازالت فى نفوسهم منه غصة لا تنقضى أبد الدهر . لعل الموقف الوحيد الذى يدعو إلى الدهشة هو تأييد دولة تلغى فكرة

- ١٦١ -

الدين من أساسها . ولكنها مع ذلك تقبل أن تقوم دولة العماد الأول فيها والأخير هو الدين اليهودى .

ولهذا فقد كان عجيباً أن تكون روسيا هى ثانية الدول التى تعترف بقيام دولة إسرائيل بعد أمريكا .

وعلى أية حال فالغدر من العدو أمر طبعى .  
ولكن الأمر العجيب هو غدر الأخ بأخيه واللبنانى باللبنانى والعربى بالعربى .

كيف استطاعت نفوسهم أن تقبل هذا الإفناء لأهلهم وذويهم ودولتهم . من ينتقم من من ؟ ومن ينتقم لمن ؟  
قومى همو قتلوا أميم أخى فإذا رميت أصابنى سهمى

هناك أيد خفية . وهى أيد ثقيلة تحركها أكبر دولتين فى العصر الحديث ولكن كيف استطاعت هاتان الدولتان أن تحرضا شعباً أن ينتحر .

من يستطيع أن يتصور أن تخطط أمريكا لتمزيق لبنان وتقدم روسيا السلاح لينفذ به تخطيط أمريكا ؟ الدولتان اللتان تقفان على طرفى النقيض من العالم تتفقان ، ثم يتبلور اتفاقهما أول ما يتبلور على لبنان وشعب لبنان ؟ ويدفعان الشعب السورى ليكون أداتهما معا وهما لا شك قد أغرياه أن يأخذ جزءاً من لبنان بدلاً من الجولان . ويستطيع بذلك زعماء سوريا أن يقيموا الأفرح ويطلقوا الحناجر بالخطب التى يقوم عليها حكمهم أنهم قد انتصروا وكسبوا لسوريا أرضاً جديدة لعل الشعب ينسى أرضه القديمة .

- ١٦٢ -

ولعل الشعب يرضى ، وهم يأملون ألا يفكر الشعب أن أرض لبنان لا يمكن أن تكون لسوريا ، فالدولتان عربيتان والإنسان لا يكسب شيئاً إذا نقل مبلغاً من المال من جيبه في اليمين إلى جيبه في الشمال . ولكن الأرض تكون كسباً إذا استولينا عليها من عدو اغتصبها كأرض سيناء التي استرجعناها ، وكقناة السويس التي استردتها الجيوش العربية .  
لهفى على لبنان . يحيط به الظلم الفادح من الدولتين الكبيرتين . والطمع والجشع من الدولة الشقيقة ، ولعب الأطفال ومجانين الزعامة ومخبولى الانقلابات . . . لهفى على لبنان .

بيوت كالعتيق :

رحم الله شوقي حين قال فى قصيدته الخالدة « مصائر الأيام »

يصف معاهد الدراسة :

وتكسر فيهم غرور الثراء	وزهو الولادة والمنصب
بيوت منزهة كالعتيق	وإن لم تستر ولم تحجب
يدانى ثراها ثرى مكة	ويقرب فى الطهر من يثرب
إذا ما رأيتهمو حولها	يموجون كالنحل عند الرى
رأيت الحضارة فى حصنها	هناك وفى جندها الأغلب

فالمفروض إذن أن يكون الجميع فى رحاب المعاهد الدراسية سواسية فلا يزهو طالب على طالب بثناء أبيه ولا تدل طالبة على الأخرى بغنى ذريها .

ولكن ما تقيمه المعاهد من مساواة يهدمه شارع الشواربى لينهب الفتيان والفتيات وقد ارتدوا وارتدين من الملابس أغلاها وأفخرها ، ويكلف الأبناء والبنات آباءهم وآباءهن عنتا من أمرهم ، فكل شاب وكل فتاة خاصة لا يجب أو تحب أن يشعر بالمهانة عند المقارنة بالآخرين والأخريات .

ومن الآباء . بل أغلب الآباء لا يستطيعون أن يدخلوا هذه المنافسة فبحسبهم أن يوفروا لأبنائهم وبناتهم ما يستر ، وبحسبهم أن يوفروا لهم المأكل والمساكن والمواصلات والكتب والدروس الخصوصية . وهيهات لهذه الأشياء أن تتوفر إلا بالجهد والاقتراض وإراقة ماء الوجه وغير ذلك مما يضطر له الآباء اضطراراً .

وحين يجد الأبناء والبنات أن الآباء لن يستطيعوا أن يواجهوا مطالبهم من الملابس الفاخر الذى يطاولون ويطاولن به الزملاء والزميلات يتولى الفتيان والفتيات الأمر .

ونسمع الكثير من القصص التى ينكسر لها القلب ونصبح كلنا شفقة على مصير الجيل الجديد الذى ينحرف ، وما كلمة ينحرف إلا لفظة هزيلة ضامرة لا تمثل ما يتردى فيه الشباب من سرقات والفتيات من أعمال أخرى أعف عن ذكرها .

ماذا علينا لو وحدنا الزى فى الجامعة ولنجعل منه عدة نماذج تناسب مختلف الأشكال والأطوال والأحجام . لعلنا بهذا نحد من الإسراف المخجل الذى يضطر له الآباء ليرضوا به غرور البنات والأبناء . ولعل توحيد الزى هذا يجعل فتاة فى الجامعة تشعر أنها ذاهبة إلى معهد وليس إلى حفلة راقصة أو حفلة تنكرية فلا تجعل من وجهها خشبة رسام

— ١٦٤ —

تنسكب عليها الألوان عمياء زاعقة . ولا تبالغ فى تصفيف شعرها مما يكلف الآباء عنتا آخر هم فى غنى عنه . بما تلقى عليهم الحياة من إعانات وجهد ومشقة .

عامل فى قطاع خاص :

دخلت إلى محل نظارات مصرى شهير بالإسكندرية وانتقيت علبة أحياها لنظارتى وأعطيته خمسة جنيهات ليعطينى الباقي ووضعت العلبة فى جيبي . وفى انتظار الباقي سألت البائع الشاب عن نوع آخر من اللعب فقال إنه سيكون لديه فى الغد فقلت :

— إذن أنتظر إلى الغد .

— أمرك .

وأعطاني الجنيهات الخمسة وانصرفت . وجلست أشرب قهوة فى مقهى قريب من المحل وبالصدفة المحضة وضعت يدي فى جيبي فإذا بي أجد العلبة . وأدركت طبعا أن الشاب البائع نسي أن يطلبها ، فقامت مسرعا إليه وفتحت باب المحل لتستقبلني ابتسامة عريضة على وجه الشاب البائع .

— وفيم أتعبت نفسك ؟

— إذن فأنت تعرف أن العلبة معي .

— طبعا .

— ولماذا لم تطلبها ؟

— أترضى لى أن أذكرك بهذا ؟

— ١٦٥ —

لقد فضل الشاب أن يسكت ولا يذكرنى أننى وضعت اللعبة فى  
جيبى دون أن أدفع ثمنها حتى لا أشعر بالخرج .  
هذا المحل من أنجح المحلات وصاحبه شهير وله زبائن كثيرون ليس  
غريبا أن ينجح لأنه يختار بائعته بهذه الكياسة وهذا الأدب .  
أفكر جديا . لو كان هذا حصل مع محل للقطاع العام . أترانى كنت  
الآن أكتب هذه المفكرة ؟ أم كنت سأكتب مفكرة أخرى عن القبض  
على وتسليمى للنيابة العامة بتهمة اختلاس لعبة نظارة ؟

الأهرام - العدد ٣٢٧٣٩

٣٠ يوليو ١٩٧٦

## الأدب والسياسة

هل يستطيع الأدب أن ينأى عن السياسة . . كانت هناك نظرية الفن للفن . . ولكن هل الذين كتبوا فى ظل هذه النظرية نفسها استطاعوا أن يتعدوا عن السياسة . . . كيف . . . ؟

إن الأديب نتاج عصره . . وفنه هو روح جيله ونبض شعبه فى الفترة التى يعايش فيها هذا الشعب . والسياسة هى التى تشكل حياة الشعوب ، وتشكل مصالح هذه الشعوب ، فهى مؤثرة ومتأثرة بالشعب فى وقت واحد معا . .

والأديب فى كل عصر وفى كل زمان ، هو كلمة هذا الشعب . ولذلك فأنا أرفض رأى القائل بأن الأديب هو الرفض وإن الفنان هو الثورة وأن الكاتب هو المعارضة .

إنما الأديب والفنان والكاتب جميعا هم الشعب .

يعبرون عنه رفضاً أو تأييداً ، ثورة أو تدعيماً ، معارضة أو مساندة .. الشرط الوحيد الذى يجب أن يتوفر فى الأديب أن يرفض لأنه يرى الرفض فى مصلحة الشعب ، ويؤيد حين يرى التأييد خيراً لقومه .

أما اصطناع الرفض ليمثل الأديب دور البطل الدرامى الأسطورى ؟ أو اصطناع التأييد لينافق أهل السلطة ورجالها فأمران كلاهما شر من أخيه وموقفان كلاهما فيه خيانة لأمانة القلم وأمانة الإنسان جميعا .



## - ١٦٧ -

إن الأديب ينال من قومه الاحترام والتوقير والإجلال ، وذلك حقه ..  
وكل حق يقابله واجب ، وواجبه الأوحاد أن يكون أميناً في كلمته التي  
يوجهها لهؤلاء الذين يقدمون له الاحترام والتوقير والإجلال .  
فإذا خان أمانته ، خان قومه وخان نفسه ، وأصبح أمره شراً من  
العدو وأكثر قبحاً من الجاسوس .

وهكذا فمن المحتّم أن يرتبط الأدب بالسياسة . . وقد ارتبط بها على  
مر العصور . . والأدباء الذين لم يكن لهم رأى في الحياة السياسية التي  
عاشوها أدباء مروا بالحياة دون أن يؤثروا فيها ، ومرت بهم الحياة دون  
أن تحس بهم .

فإذا نظر الأديب إلى الإنسان ، وجعل عمله كله المجتمع ، واضطرب  
الناس فيه يكون بذلك مرتبطاً بالسياسة أشد الارتباط . . فإن السياسة  
نفسها موضوعها هو هذا الإنسان وهذا المجتمع . . ونظرة الأديب هنا  
تكون أكثر شمولاً واتساعاً من مجرد النقد التفصيلي للأعمال السياسية  
المفردة .

ولكن هناك نوعاً من الأدب بعيد كل البعد عن حياة الناس  
ومضطربهم ، لا يهدف إلى غير الجمال الفني . . هذا الأدب قد يعيش  
ولكن قليلاً ما يعيش . . فالجمال الفني يختلف من عصر إلى عصر ومن  
جيل إلى جيل ، ويبقى الإنسان بعواطفه وآلامه وآماله . . ويبقى المجتمع  
وسعيه نحو الأعلى والأمثل . . والأدب هو مرقاه وهو نظريته وهو  
كلمته . . وهو هو دائماً الإنسان والمجتمع .

ثروت أباطة

— ١٦٨ —

الأهرام - العدد ٣٢٧٤٣

٣ أغسطس ١٩٧٦

## فرصة كافية للقدر

لم يكن مجرد النجاح فى بكالوريوس الهندسة هو كل ما يصبو إليه .  
فقد كان يعلم أن البعثة إلى إنجلترا فى ذلك العام مقصورة على الأول  
فقط . فإن لم يكن هو الأول فمعنى ذلك أنه لن يذهب إلى هذه البعثة .  
ومعنى ذلك أن تنهار آماله كلها . وبقلب واجف عنيف الوجيب انتظر  
النتيجة وظهرت .

لم يكن الأول . وإنما كان ثانى دفعته .

لم يحس أنه نجح . لقد تساوى هذا النجاح الرائع بالنسبة إليه مع  
السقوط . فما كان يبغي أن يكون مجرد مهندس . إنما هو يريد من الحياة  
أن يكون دائما على قممتها .

وقد تمثلت القمة عنده على شكل دكتوراه فى الهندسة واسم شامخ  
ضخم عملاق يمكنه أن يبنى فلا يبنى إلا الأبنية الشائخة العملاقة .

من أين له بهذا اليوم . والسبيل إلى البعثة مقطوع . وليس لدى أبيه  
أو ذويه وفرة من المال تتيح له ما تتيحه الحكومة للأول . وانهارت الحياة  
عنده وتصدع أمام ناظره ببيان المستقبل .

كان شابا جميلا ، حسن السمات ، بهى الطلعة ، وكانت له قبل  
النتيجة ابتسامة عذبة تأمر من يراه أن يعجب به ، فحين ذوت منه هذه

— ١٦٩ —

الابتسامة بقى له على رغم أنفه جمال الشباب وحسن السميت وبهاء  
الطلعة .

وتواثبت إلى أذنه همسة وشوشه بها صديق لأبيه :

— هل جربت كل الوسائل ؟

— وهل هناك وسائل ؟ لابد أن أكون الأول . أو لا بعثة .

— يا بني لكل هدف أبواب كثيرة .

— إلا البعثة .

— وفى مقدمة هذه الأهداف هذه البعثة .

— كيف يا عمى . . . كيف ؟ ! بعثة قررت الوزارة أن تكون من

الأول فقط نظرا لظروف الحرب العالمية . وأنا لست الأول . من أين  
تأتى الأبواب الأخرى ؟

— قل لى . . من المشرف على البعثات ؟

— فلان بك .

— هل أنت متأكد إنه فلان بك ؟

— نعم .

— إنه صديقى .

— وماذا يستطيع أن يفعل ؟

— قل لى .

— أقول لك .

— ألم تتخرج ؟

— أهذا ما تريدنى أن أقوله ؟

— ١٧٠ —

- ألا ترغب فى الزواج ؟
- يا نهار أسود من الحبر . . . أى زواج يا عمى . . . أقول لك بعثة  
وتقول لى زواج .
- الزواج هو البعثة .
- ماذا ؟
- ما سمعت .
- بعثة إلى أين ؟
- إلى لندن طبعا .
- أتزوج .
- فلان بك عنده بنت . . غاية فى الأدب ومتخرجة فى كلية  
الآداب .
- آداب حقوق لا يهم . . أراها .
- لماذا ؟
- أليس معنى كلامك أننى سأتزوجها ؟
- طبعا .
- ألا يرى الإنسان عروسه ؟
- عادة من الطبيعى أن يرى الإنسان عروسه ليعرف إن كانت جميلة  
أم قبيحة ، توافقه أو لا توافقه .
- أنت تعرف إذن أننى لابد أن أراها .
- نعم وأعرف أيضا أنك تتزوج من أجل مسألة أخرى بالمره .
- .معنى .

— ١٧١ —

— يعنى لا لزوم أن تراها مطلقا .

— عمنىانى . !

— بالعكس . على السكين . . أنت لا تتزوج زوجة تختارها بمحض

إرادتك . أنت تتزوج بنت فلان بك لتذهب إلى البعثة مقدمات ونتيجة

كل ما يهمك من أمرها أن تكون بنت فلان بك ولا شىء آخر . وأنا

أضمن لك أنها بنته . وسأكلمه على أساس إنك رأيتها فعلا .

— توكل على الله .

— أنت متأكد ؟

— تماما . لكن لابد من احتياط بسيط .

— مثل ماذا ؟

— مثل أن تعرف فلان بك المقدمات والنتيجة .

— ترى ذلك ضروريا ؟

— لابد وإلا تزوجت ولم أذهب إلى البعثة ، فبدلا من أن نكحلها

نعميها .

— ليس من المحتم أن يعرف المسألة بكل هذه الصراحة .

— هذا متروك للباقتك . . . إنما لابد أن يعرف على كل حال .

وتم الزواج . . .

ولكن هل يترك القدر مسألة كهذه دون أن يتدخل بسخرية عنيفة .

كانت الفتاة غير جميلة — وهذه حقيقة لم تكن تحتاج منى أن أذكرها

فلاشك أن كل قارئ عرفها . ولقد رآها الفتى عاشق البعثة أشد قبحا

من حقيقتها . وليس فى ذلك أيضا شىء غريب . فإنها ستلازمه ليله

## - ١٧٢ -

ونهاره بل وفى العصر وفى المغرب أيضا ، ولكنه مع ذلك قبلها حبا فى البعثة وإحياء للمستقبل الذى انهار أمام عينيه ، وقد تمت الخطبة على أساس أنها سترافقه فى البعثة وتدرس هى أيضا فى لندن . ولكن الأمر العجيب الذى تفضل القدر فتدخل به قبل أن يتم الزواج كان له أعظم الأثر فى حياة المهندس العظيم .

كان يوما فى زيارة لخطيبته قبيل الزواج بأيام قلائل ، فإذا فلان بك :  
- ميروك يا باشمهندس .

- الله يبارك فيك يا عمى .... خير .

كنت سأسعى سعيًا عتيقًا لأجعل البعثة من اثنين حتى تتمكن من الذهاب إلى لندن .

- وهل نجح المسعى ؟

- لم أعد فى حاجة إليه .

- لماذا . . . ماذا حدث ؟

- اعتذر الأول عن عدم الذهاب فأصبحت أنت المرشح الوحيد للبعثة بفضل مجهودك وحده دون أى سعى منى أو من غيرى .

خرج المهندس فى ذلك اليوم وقد أصابه دوار متلاطم أخاذ . . . ماذا عليه لو كان انتظر . . . وماذا لو فسخ الخطبة الآن . تلغى البعثة جميعا . وما ذنب الفتاة . وما ذنب فلان بك .

إنهما الآن زوجان وأبناؤهما تخرجوا فى الجامعة . ولكن الدكتور المهندس تعلم منذ ذلك اليوم أن يترك فرصة كافية للقدر قبل أن يتخذ أى قرار .

- ١٧٣ -

### كلمة إلى السيد وزير الحرية :

كنت قد توجهت إلى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الحرية الفريق أول / الجسمى بكلمة فى مفكرة ٦ يوليه أرجوه فيها أن ينظر بعين العدل للشباب الذى يندب للخدمة بعد أن قارب الثلاثين وكون حياته على أنه معفى من الخدمة . وكان هذا الرجاء يبعثه خطاب من سيده ذات أبناء ثلاثة لم تقل اسمها . ومنذ ذلك اليوم والخطابات تنهال على جريدة الأهرام تطلب منى أن أعيد تذكرة الوزير الإنسانى ، وإنى على ثقة أن مثل هذا الأمر لا يحتاج إلى إعادة الكلام فيه ، وعلى ثقة أيضا أن الوزير الإنسان لن يألو جهدا فى سبيل تحقيق العدالة لهذه الأسر التى تبنت من كثرة الخطابات أنها كثيرة ، وأنها تعاني أشد المعاناة من إبعاد عائلها عنها فترة التجنيد .

الأهرام - العدد ٣٢٧٤٦

٦ أغسطس ١٩٧٦

### ضمير القلم

الأدب هو الحرية .. ويوم تقفل على الأديب منافذ الحرية يصبح ما ينتجه منشورات وفرمانات ، وليس من عمل الأديب أن يصدر المنشور أو الفرمان .

ويوم توضع القضبان الحديدية حول فكر الأديب وعواطفه ورغباته وآماله يسقط الأدب ولا يبقى منه شيء .

الأديب هو انطلاقة شعبه ، وأمله وآله ، وقلمه وحلمه ، وابتكاره وتشوقه وسخطه وغضبه ورضاه وقلبه ، ولسانه وعاطفته ، وعقله ويومه ، وأمسه وغده .. وهيهات أن تستطيع قوة فى الأرض أن تجابه هذه الأمواج الضخام من المشاعر والأفكار .

قد يسكت القلم ولكن الأديب يتكلم .. وقد حاول الجبابة عبر التاريخ أن يسكتوا الأديب ولكنه قال :

وعرف الجبابة آخر الأمر خطر الأديب فحاولوا أن يصطنعوه ، وسقطت فى الشباك نفوس صغيرة من الأدباء واستعزت بكرامتها نفوس أخرى .

ونالت النفوس الساقطة المال ، ونالت النفوس الأبية الإجلال . وماهى إلا خفقة زمن ، حتى ذهب المال وبقي الإجلال . وقد حاولت أقلام صغيرة أن تدعى العمق وتقدم عمقها للسلطان يركبه ..



— ١٧٥ —

وما هي إلا خفقة زمن حتى زال السلطان وبقي رأى الناس ، وبقيت نظرتهم ترمق صاحب القلم الصغير فى احتقار ، وراح هو ينظر إليها فى تذلل .

ترى ألم يكن يعرف أصحاب الأقلام الصغيرة أنهم محاسبون ، وأن مسئوليتهم الحقيقية إنما هي ضمائرهم لا أمام أفراد زائلين ؟  
فلماذا تسارعوا إلى الزائل وأغفلوا الباقي ؟ .. ولماذا وتروا بالذلل أقواس الظهور ولم يوتروا بالحق أقواس الشرف ؟  
إن جهلوا هم فمن يعرف ؟ .. وإن زلوا فمن الذى تستقيم على العفة خطاه ؟ .. وإن ذلوا فمن الذى يعتز ويمتلئ ثقة بنفسه ، ما دام القارئ — وهو الناس — قد أولاهم ثقته .. ؟

إن جهل الكاتب أفدح من جهل الجاهل ، وزلة الأديب أبغض عند الضمير وعند الناس من زلة المتسلق من غير الأدباء .. وذل الأديب هوان عند الناس لكل من أولاه فى يوم بعض إجلال .

ترى هل يعى الكاتب هذا ، أم يظنون بالناس الغفلة ويهتبلون منهم السذاجة .. وهموا فإن للقراء عينا وفراصة وفهما ، ولا يفجع القارئ فى شيء قدر فجيئته فى أديب احترمه يوما وأجله ووثق به .  
فليتق الكاتب قارئه إذا لم يكن يريد أن يتقى ضمير القلم وشرف الكاتب .

ثروت أباطة

— ١٧٦ —

الأهرام - العدد ٣٢٧٥٠

١٠ أغسطس ١٩٧٦

### إنها باقية مع الخلود

ركبت الأجيال سبعة آلاف عام وأشعت حضارتها إلى التاريخ .  
ومشت بالبشرية خطواتها الأولى حين كانت البشرية تتعثر فى بقايا  
العصر الحجرى ، توشك أن تجمدها آثار العصر الجليدى ، وشقت مصر  
بهذه البشرية سدود الجهل ونفذت بالعالم إلى مشارف النور وأخذت  
بيده إلى أبواب العلم ، فعرف منها الفلك والطب والفلسفة والتوحيد  
والموسيقى والأدب لكل هذا نحن المنشئون والبانون .. حول نيلنا تخلجت  
أقدام الحضارة ثم اشتدت ثم انتشرت إلى العالم أجمع .. وأتاحت  
لشاعرنا شوقى أن يقول :

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت  
فى ملكها الضخم عرشا مثل وادينا  
وهذه الأرض من سهل ومن جبل  
قبل القياصر دناها فراعينا  
ولم يضع حجرا بان على حجر  
فى الأرض إلا على آثار بانينا  
كأن أهرام حائط نهضت به

يد الدهر لا بنيان فائنا  
فحين زلزل التاريخ زلزالا . وحين تسنمت حضارات أخرى قمم  
العالم .. بقى المصرى ابن العروق الضاربة فى أغوار الزمن ثابتا كالطود  
يمر به الظلم والجور والإفلاس فيخرج أهته فى ضحكة ، ويضرب

## - ١٧٧ -

بأقدامه فى أرض أجداده ويبقى وينزل الظلم عن عنفوانه وينكسر الجور وتنقضى أزمان وتأتى أزمان .. وتبقى مصر .

واليوم نشكو من النور والماء .. ومن التليفون ومن المواصلات .. ومن الغلاء والفقر .. ويقولون لا تذكروا التاريخ وإنما انظروا إلى الحاضر .. هراء .. إننا بهذا التاريخ نعيش هذا الحاضر .

لو أن آلات النور ومواسير الماء هذه فى بلد آخر ما عملت على الإطلاق . ولو أن شبكات التليفون ووسائل المواصلات هذه فى دولة أخرى لصممت التليفونات جميعا كأنها أحجار ، ولألقى بهذه السيارات وزميلاتها من وسائل النقل إلى أقرب بحر تصل إليه أو تحمل إليه ، ولو أن هذا الغلاء مع هذا الفقر فى بلد آخر لانتحر الناس . لقد كنت فى إيطاليا واشترت قطعة الجاتوه بخمسة وسبعين قرشا وقطعة الشكولاتة التى تشتري مثلها هنا بعشرة قروش بخمسة وسبعين قرشا أيضا . ولكنهم هناك يصيبون من الدخل ما يمكنهم من شراء مثل هذه الأشياء بهذا الأثمان الباهظة . ومع ذلك فهم فى أزمة طاحنة ، وتقدم لهم أمريكيا بلايين من الدولارات .

إن القائمين عندنا على النور والماء وعلى التليفونات والمواصلات عباقرة يندر أن يكون لهم مثل فى العالم .. فما زلنا نغمز زرا فيضىء نورا ، وما زلنا بعد الجهد نسمع صوتا فى التليفون على الطرف الآخر .. ولكن هذه الآلات التى يمكنون بها لنا أن نرى فى الليل ونخاطب الآخرين فى التليفون ، إنما هى آلات عفا عليها الزمان وأصبحت جزءا من التاريخ ، إن أكرمها مكرم وشاء أن يكون ذا وفاء فعليه أن يضعها فى متحف من متاحف القرن الماضى .

إن هؤلاء العباقرة الذين يشرفون في مصر على الماء والنور والكهرباء يستحقون كل إجلال وتكريم . لقد انتهت حربنا من أجل العرب أموالنا قدمناها غارقة في دماننا وفي آمال شبابنا ، وفي ترميل الزوجات في نضرة شبابهن ، وفي يتم الأطفال في بواكير أعمارهم .. وقدمنا معها هناءنا في بلادنا لا تستقيم لنا وسائل الحياة الضرورية من ماء وكهرباء وتليفون ومواصلات . وبهذا الذي قدمنا ارتفع سعر البترول أضعافا مضاعفة . وغرق أبناء الرمال في الماس وأبناء البترول اليوم في نعيم لم تسمع به البشرية ، وما كانت تشتهي أن تسمع .. ومع كل هذا فمصر باقية . ولتصمت التليفونات فلا تتكلم وليظلم النور فلا يضيء وما بهم ونحن نضئ للعرب أجمعين عقولهم وطريقهم . ولينقطع ماء البيوت .. إننا نستطيع أن نعيش بلا تليفون وبسور قلوبنا وبماء نيلنا ... ونبقى .

إن مصر الحديثة التي أشعت النور إلى جميع البلاد العربية والتي ما زالت حتى اليوم وهي في محنتها تعلم أبناء العرب في كل أنحاء العالم العربي ستبقى . وستثبت ركائزها في أركان التاريخ . وسواء عندنا شعر العالم العربي بواجبه نحونا أو لم يشعر ، ستبقى . مع الخلود ستبقى .

### \* خطابان مع البريد :

خطابان حملهما إلى البريد : أما أحدهما فقد أورثني الأسى والأسف والشعور بالذنب ، فقد أحسست أننا نحن الذين نكتب بقسوة عن جهل الشباب وعدم معرفتهم بلغتهم ، قوم نبترس الأحكام وتتعجل الاتهام دون تقص للأسباب التي تعجز الشباب وتقف عقبة دون بلوغهم إلى مناهل أدبهم ومصادره وموارده ...

الخطاب من طالب فى إسنا ، ويمتاز الخطاب بأسلوب سلس قريب المأخذ يدل على أن صاحبه يستطيع أن يكتب ما بنفسه . وفى الخطاب بطبيعة الحال نصيب لا يستهان به من الأخطاء النحوية بل والإملائية أيضا ، ولكن الخطاب يحمل الاعتذار عن الأخطاء . وهو اعتذار قاطع لا تملك أمامه حيلة ولا تطبيق له دفعا .

إنه يقول إنه مبعد تماما عن الوسائل التى يستطيع بها أن يحصل على كتاب . فالكتب مرتفعة الثمن ولا يستطيع أن يشتريها ، ولا مكاتب هناك لا فى المدرسة ولا فى البلد جميعا ، ويتردد الطالب كثيرا قبل أن يقول إنه لم يقرأ فى حياته إلا كتابا واحدا وجده عند صديق له ، وحين أراد أن يعيد قراءته وجد زميله قد أعاره لآخر وتاه الكتاب فى خضم الحاجة إلى الثقافة التى تغمر الشباب هناك .

أى شيطان جاهل قال للمشرفين على الشباب عندنا أنهم مسئولون عن الكرة والألعاب وليسوا مسئولين عن الكتاب والثقافة ؟ وأى شيطانا جاهل قال لنظار المدارس أن عمل المدارس هو تعليم الطلبة المناهج فقط . إن الدولة لا تشتري من الكتب التى تصدر شيئا .. وإنما يفرض على الناشر أن يقدم خمس نسخ للمكتبة العامة .. فلماذا لا يفرض على المدارس أن تشتري نسختين من الكتب الهامة التى تصدر ؟ وكيف يجوز أن نترك الشباب يضرب فى هذا الليل من الحاجة إلى الكتب وعدم القدرة على شرائها ؟

أما الخطاب الآخر فهو من طالب فى الطب وقد أرسله إلى كمشرف على الصفحة الأدبية . الخطاب نقيض للخطاب الأول .. فلقد فوجئت بنثر رفيع يقدم به لقصيدة رائعة من الشعر الأصيل . وصاحب الخطاب

— ١٨٠ —

اسمه ياسر الوزير .. بطب عين شمس .. لعل الأستاذ ياسر أو الدكتور ياسر قادر على أن يشتري الكتب أو لعل وجوده بالقاهرة قد يسر له الحصول على ما يشتهى من الثقافة . أو لعل .. وهذا هو الأقرب .. إصراره على أن يتوقف هو الذى جعله يبلغ من الثقافة هذا القدر الذى أهنته عليه . وإنى أعده أن أنشر القصيدة وإن كنت حرصت أن أشير إليها وإليه الآن ، فما ذلك إلا عن حرص منى ألا يظن أن كتابه قد لقى مالا يستحق من التقدير .

\* وخطاب ثالث إلى الأستاذ توفيق الحكيم :

بكرت فى الصباح إلى بئرو حيث أجمع بأستاذنا توفيق الحكيم والأستاذ الجليل إبراهيم فرج والأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ورئيس لنيابة سعيد العشماوى وأستاذنا نجيب محفوظ حين يكون بالإسكندرية ..

ولكننى اليوم وجدت أستاذنا توفيق الحكيم وحده ، وقبل أن أقول صباح الخير بادرنى هو بقوله :

— الناس أصابها الجنون ولا شك . [ ومصمص بشفتيه على عادته ]

قلت جازعا :

— خيرا .. ماذا حصل ؟

— خذ يا سيدى ..

وأعطانى خطابا وقرأت :

« باسم جمعية ... الخيرية بالشرقية أرسل هذه الرسالة إلى سيادتكم ، ولنا أمل كبير فى سيادتكم فى التكرم بمد يد المساعدة إلى الجمعية والمساهمة بتبرع مالى من سيادتكم ... » .

— ١٨١ —

ولم أعد فى حاجة طبعاً أن أكمل الرسالة .. فكل ما سيأتى بعد هذا أقل جنونا بلا شك من هذا الجنون .. وأى جنون أكثر من طلب تبرع مالى من توفيق الحكيم .

وخجلت لأن المرسل من الشرقية فقد أعاد هذا إلى ذهنى ما نرمى به نحن أهل الشرقية من سذاجة .. وأى سذاجة أبعد من طلب تبرع مالى من توفيق الحكيم .

رددت الخطاب إليه واعتذرت عن ابن إقليمى ، ولكن أى اعتذار يصلح لهذا الجرم الفادح . لقد رأى الخطاب كل أعضاء الندوة من أصلاء وزائرين وبقيت طوال الجلسة شاعراً بالخرج والأسف والأسى التى ألقاني إليها شرقاوى طيب يطلب تبرعاً مالياً من توفيق الحكيم . وحسبى الله ونعم الوكيل ..

- ١٨٢ -

الأهرام - العدد ٣٢٧٥٣

١٣ أغسطس ١٩٧٦

### شعر المناسبات

جرى بعض النقد أن يصدرُوا أحكاماً جامعة مانعة بالرفض دون أن يضعوا لرفضهم هذا حيثيات تجعله مقبولا أو سائغا . ولما كان هواة الأدب ليسوا قضاة ، فإنهم فى أحيان كثيرة يقبلون هذه الأحكام قضية مسلمة لا يناقشونها .منطق أو ينعمون فيها النظر .

من هذه الأحكام المتعجلة وجدت صدى بعيداً لدى المتأدين لرفض شعر المناسبات . ومعنى هذا الرفض أن تسقط الغالبية العظمى من شعر العرب

فالمتمنى أقام مجده الأدبى جميعاً على شعر المناسبات من مديح وهجاء .

وفى أبيات المديح هذه تجد شعراً نستطيع أن ننسبه فى التحضر والذكاء إلى أذكى العصور وأكثرها تحضراً .

ولو كونكم فى الناس كانوا هراء كالكلام بلا معانى كيف استطاع أن يقول إن الناس يصبحون هراء ، وكيف تأتى له أن يشبه الناس بمعنى مجرد وفى وقت كان التشبيه فيه بالأسد والرئال والحيدر إلى آخر مسميات الأسد .

وحين يمدح شعب بوان ويجرى هذا الحديث الخالد بينه وبين حصانه . يقول بشعب بوان حصانى أعن هذا يسار إلى الطعان أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان



## - ١٨٣ -

كيف استطاع المتنبى منذ ألف عام ونيف أن يذم الحرب وينسبها إلى المعاصى ومفارقة الجنان ، ويصل بينها وبين الخطأ الأول فى البشرية الذى أهدها إلينا جد الإنسانية فيما أهدها إلينا من متاعب وشور . فمئذ البدء أعطى الله الحرية لآدم ، فاختار وياشر ما اختار ، لقد سن المعاصى وعلمنا مفارقة الجنان ومازلنا على تعاليمه البشعة حتى الآن . وحسبك نظرة إلى لبنان ، لقد تطور الأمر فيها ، فبعد أن كان مفارقة للجنة أصبح اليوم تدميرا للجنة ، ورحم الله المتنبى .

وحين يمدح البحرى المتوكل فيهديه فرسا يموت فى اليوم التالى فيكتب إليه :

أهديتنى أعجوبة هى فى العجائب نادرة  
فرس كأن هبوه وشك الرياح الطائرة  
فى ليلة قطع المسافة من هنا للآخرة  
من أين كنا نستطيع أن نحصل على مثل هذه اللفتة الرائعة دون شعر  
المناسبات .

هذا نثار من الأبيات مما تعيه الذاكرة أحببت به أن أنفى هذه التهمة التى حاول النقاد أن يرموا بها شعر المناسبات من أنه شعر تافه لا يستحق التقدير أو الإجلال . ولو حاولت أن أرجع إلى الشعر العربى لنقلت منه آلاف الأبيات الرائعة التى قيلت فى المناسبات .

ورأى أن على الناقد أن يطرح عن نفسه الأحكام المسبقة وينظر إلى الشعر فى ذاته دون البحث فى الأسباب التى دعت إلى قوله . فأول شرط فى الناقد أن يتحرر من كل الأحكام المسبقة حتى يزن الكلام بموازينه العادلة .

ثروت أباها

الأهرام - العدد ٣٢٧٥٧

١٧ أغسطس ١٩٧٦

## اشتراكية التملك لا التجريد

لقد اتضح فى الخطاب التاريخى الذى قال فيه الرئيس السادات إن مصر ترفع لواء « اشتراكية التملك لا التجريد » .. إن الرئيس يفهم - من واقع تراث أمته - معنى الاشتراكية فهما عميقا يركز على عدالة التوزيع والتقريب بين الغنى الفاحش والفقر المدقع الأمر الذى كرهه الإسلام فحضر فى آيات كثيرة له على إعطاء الفقراء إلى جانب ما فرضه من الزكاة حتى لقد جعل منها ركنا من أركان الإسلام لا يتم الإسلام إلا به .

والزكاة بطبيعتها لا تكون إلا عن مال يغل . والحض على إعطاء الفقراء هو فى ذاته يحمل معنى وجود الأغنياء ، فالفقراء لا يعطون الفقراء . ولهذا أضحك ضحكا مريرا من الذين يرون الإسلام داعيا إلى الاستيلاء على الأموال مرتين فى الآيات التى تقول بأن الله مالك كل شئ وأنه يرث الأرض ومن عليها ، وفى الحديث الذى ذكر أن الماء والكلاء ملك للجميع نحجة يشهرونها أن المال جميعا مال الله . وهم يعلمون أن المال مال الله حين يرث الله الأرض ومن عليها . أما فى هذه الحياة الدنيا فالناس أمناء على هذا المال يمتحنهم الله به ويحاسبهم على معاملتهم لهذا المال حين يحاسب الله الناس على ما قدمت أيديهم .

ولو كانت كلمة الماء والكلاء تعنى أن الملكية للجميع ، وأن كل النبات والماء ملك مشاع ما اشترى عثمان بئرا ووهبها للمسلمين . إنما الماء والكلاء فى الصحراء هما فى الحقيقة الثروات الطبيعية التى كان

## - ١٨٥ -

العرب يعرفونها ولا يعرفون غيرها ، كالبتول الآن . والكلاً بطبيعته هو الذى ينبت فى الأرض دون أن يزرعه أحد وكذلك كان الماء عند العرب يفيض من الآبار دون مجهود الناس .

أما لو كان المراد أن ما تنبت الأرض وما تفيض به من ماء مهما يكن الأمر فيه ، وسواء كان الماء والزرع فى أرض مملوكة لبعض الناس أو لم تكن .. لو كان المراد أن يصبح هذا قاعدة تستولى بها الدولة على الأرض الزراعية ووسائل الري الحديثة وغير الحديثة لانتفت الملكية الزراعية جميعاً . وحينئذ تنتفى العدالة لأن الدولة بهذا المفهوم العجيب تستولى على الأرض الزراعية وتترك العقارات الأخرى من أبنية ومصانع . وهى أيضاً ستترك التجارة لأنه لم يرد عليها نص .

ولو لم يكن الإسلام حريصاً غاية الحرص على الملكية الخاصة وطريقة انتقالها لما ذكر المواريث بهذا التفصيل الذى أوردنا به فى سورة النساء وهو تفصيل لم نجده حتى فى الصلاة . فالقرآن الكريم لم يذكر عدد ركعات الصلوات ونحن نصليها على أنها سنة مؤكدة .

وبعد ، فالدين الحنيف قوى وعظيم ويستطيع أن يتحمل كل هؤلاء الذين يتوابعون حوله ويحاولون أن يحرفوا الكلام فيه عن مواضعه فمهما تذهب بهم الضلالة ويذهب بهم التضليل سيظل الدين القيم شامخاً ثابتاً نافذاً إلى الأجيال ، وحسبه قول العزيز القدير :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

## إلى العقلاء نسوق الحديث :

وقع المال فى يده فجن به الجنون . بدلا من أن ينفقه على تعليم دولته وتحضيرها راح يقذف بالأموال على قلب أنظمة الحكم وقتل الأبرياء ، صارخا فى نفس الوقت إنه مؤمن بالدين الإسلامى الذى يقضى بأن من يقتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ، ولا عجب فهكذا يكون مخلوط العقل . ومع المجانين يتعذر الكلام العاقل . فنحن لا نستطيع أن نقول لهذا القذافى الأحمق أن مصر وأبناءها لن تهزهم ألعاب الصغار التى يقوم بها هو وأعوانه . ولا نستطيع أن نقول له إن كبت مغيظا من مصر والقائمين على أمرها . فما ذنب هؤلاء الأطفال والنساء يركبون قطارا إلى الصعيد مسلمين أنفسهم إلى يد الله فتتولاهم يدك أنت ويد أعوانك بالقتل والفتك والإصابة . ولا نستطيع أن نسأله أى فائدة يمكن أن تعود عليك من إصابة الأبرياء وقتل من لا شأن لك به ومن لم يبد رأيا فيك . ولا نستطيع أن نقول له إلا أن مصر رميت بأبشع منك إجراما وشهدت من المصائب عبر تاريخها الطويل ما جعلها تثبت عند الشدة وتعلو على المحنة وترفع على الضائقة .

فما ذلت ولن تذلل . . وما هانت ولن تهون وما مثلك من يجعلها تحيد عن أخلاق لها قديمة قدم الدهر ، عالية حتى عنان السماء ، أصيلة أصالة الحضارة فى هذا العالم .

ولعل متعجبا يسأل فيم حديثك إلى مجنون وما منطقك مع مخبول ، ولكن هذا المجنون المخبول وجد أحيانا عقلاء يدافعون عنه ويركبون حصانه الأحمق ، فلعلنا إلى هؤلاء المتعاقلين نسوق الحديث .

— ١٨٧ —

فإن كانت فى نفوسهم المنهارة بقية من حب الكنانة أو إثارة من وطنية مصرية ، فليكتبوا رأيهم وليظهروا الناس على ما يرون فى قاتل يتخفى فى قطار لركاب أبرياء فيصيب المقتل من بعض ويصيب بغير قتل بعضا آخرين .

وما رأيہ فى هذا القاتل نفسه فيما يقصد إلى مجمع حكومى يسعى إليه الناس يحملون على أكتافهم آلام حياتهم وقلق ذى الحاجة وترقب المتطلع إلى مطلب ، بدلا من أن تطالعه حاجته وقد قضيت أو رغبته وقد تحققت أو آلامه وقد زالت يطالعه الموت الآخذ بيد القذافى مستخدما فيه أحدث آلات الدمار اشتراها بأموال دولة عربية أشد ما تكون حاجة إلى هذا المال لتشديد ما هدمه منها الاستعمار ، وتعوض ما فوته عليها التخلف ، وتسير طريقا طويلا إلى الحضارة بعد أن انقطعت عنها عهدا عهيدا وسنين عدداً . ألا كلمة أيها المتعاقلون الذين حملتم لواء القذافى فإليكم وحدكم نسوق الحديث . .

### خطاب هام :

جاءنى هذا الخطاب فى البريد وإننى سأثبتہ ، ولن أعلق عليه . فالكتاب يعرف ما يقول ، وأنا لا تعليق لى عليه إلا أننى أرجو أن يقع حديثه حيث يجب أن يقع من المسئولين .

« بحكم علاقة الدرس والتدريس التى تربطنى بالسادة أئمة المساجد ، سعدت كل السعادة بكلمتكم بعنوان « القرية وخطبة الجمعة » فى باب « من مفكرة . . »

ذلك أننى كنت أشعر بشعور الأسى الذى يملأ حلق السادة أئمة المساجد ، وأنا أتولى تدريس « علم اجتماع الدعوة الدينية » لهم وأطلب من كل منهم الاطلاع ليس على المؤلفات الدينية فحسب ، وإنما على المؤلفات الاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها ليكون من الناحية الفكرية على مستوى الأحداث المعاصرة والماضية ، وليكون فى موقف القادر على التنبؤ بالغد فى كل ما يتعلق بمكونات المجتمع وأحواله ، وحتى تكون خطبه ودرسه مشبعة للمصلين والسامعين فى مسجده وفى أى مكان آخر غير أن الرد الذى كنت أسمعه منهم هو : من أين ؟ والرتبات محدودة وميزانية المساجد ليس فيها بند لتزويد مكثبات المساجد بمثل تلك المؤلفات ولم أكن - برغم قدرتى - أستطيع الرد .. ولكن وقد فجزتم سيادتكم تلك القضية ، لا أجد مناصا من الرد وأمرى إلى الله فى النتائج الوخيمة التى ستعود على . وهذا الرد هو أن لدينا جهازا يدعى المجلس الأعلى للشتون الإسلامية . وهذا الجهاز يتولى طبع مؤلفات « بعضهم » وبجوارها يتولى إعادة طبع بعض المؤلفات القيمة ، مثل التفسير والتشريع والسيرة .. إلخ . وهذه المؤلفات تصرف بالثمن لمن هم أحق بها وأكثر استثمارا لها واستفادة بها مثل أساتذة الجامعات وأئمة المساجد والباحثين ، وتعطى بالجان للطلاب المبعوثين من غير المصريين فى الأزهر ممن لا يتقنون اللغة العربية . وبالرغم من أن ثمن الكتاب الواحد يزيد فى بعض الأحيان على خمسة جنيهات ، فإن هؤلاء المبعوثين يبيعون هذه المؤلفات القيمة التى تصرف لهم بالجان ، يبيعونها على سور الأزيكية بقروش لكى نشترها نحن بنصف أو بثلاثة أرباع ثمنها باعتبارها قديمة وبالرغم من أنها جديدة . وبجوار المبعوثين هناك إحدى الدوائر

الانتخابية فى مصر ، تلك التى تشحن إليها — على حساب الجهاز —  
أطنان من هذه المؤلفات ومن المصاحف لكى توزع بالجان على أبناء تلك  
الدائرة و ٩٠ ٪ منهم من الأميين . ولكنها الدعاية الانتخابية لأحد كبار  
المستولين فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على حساب الدولة .

ترى فىم كان إنشاء هذا الجهاز ؟ وما هى وظيفته بمجوار مجمع  
البحوث الإسلامية الذى يتألف من خيرة علماء الأزهر الشريف ؟ ولماذا  
هو مثل نبات القرع الذى « يمد لبره » ؟ وإلى مدى يترك السادة أئمة  
المساجد دون أن يزودوا بالمؤلفات الدينية التى تساعدهم على أداء  
واجبات وظائفهم على أكمل وجه ؟ ولماذا لا تتولى وزارة الأوقاف  
تعيين أئمة جدد من خريجي كلية أصول الدين لسائر المساجد التابعة لها  
وكذلك المساجد الأهلية بدلا من تركها للأئمة المتطوعين وكلهم — فى  
الغالب — مثل الإمام الذى أشرت إليه فى كلمتكم . وأنا هنا لا أعيب  
على مثل هذا الإمام فهو أفضل من غيره ، ففى قرنتنا كثيرون من خريجي  
الأزهر ومع ذلك يتركون المنبر يوم الجمعة لغير المتخرجين فى الجامعة  
الأزهرية أو حتى فى المعاهد الثانوية أو الإعدادية الأزهرية .

إننى أقترح أن يتولى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تزويد كل  
مسجد فى مصر — وليس فى الفلبين — بمكتبة كاملة من مطبوعات هذا  
المجلس أو الاكتفاء بمجمع البحوث الإسلامية وتحويل ميزانية هذا الجهاز  
إليه وإراحتنا من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى لا يستفيد منه  
سوى بائعى كتب سور الأزيكية .

دكتور زيدان عبد الباقي — كلية البنات الإسلامية — جامعة الأزهر .

— ١٩٠ —

الأهرام — العدد ٣٢٧٦٠

٢٠ أغسطس ١٩٧٦

### اللغة والثقافة

كنت حين أراجع بعض الدروس فى اللغة العربية أو الدين مع ابنى وابنتى ، أجد لسانيهما يعوج عن اللغة الصحيحة عوجا لا قبل لأحد به ، وكنت أصحح ما استطعت ، ولكن كانت حجتهم قوية فهما دائما يقولان إننا لن نمتحن امتحانا شفويا وإنما سنثبت هذا الكلام على ورقة الإجابة .

وكنا بطبيعة الحال يلحنان حتى فى الآيات القرآنية ويسوقان الحجة نفسها إذا قومت الخطأ . وكنت أقول لهما : إن اللحن فى القرآن ليس مجرد خطأ لغوى وإنما هو خطأ دينى أيضاً فكنا يخافان بعض الشيء ولكنهما يعودان إلى اللحن أيضاً .

وهكذا تبين لى مدى أهمية الامتحانات الشفوية التى لم نكن نعى بها حين كنا تلامذة فى المدارس أو بالجامعة . . . فقد اتضح لى أن هذه الامتحانات تقوم اللسان العربى والأذن العربية أيضاً .

واستقامة اللغة العربية ومعرفة النطق الصحيح فيها يقوم اللسان فى اللغات جميعا لأنه يكون عند النشء الحاسة اللغوية ، وإذا تكونت هذه الحاسة أفادت فى اللغات جميعا لا اللغة العربية وحدها .

ولست أدرى الحكمة التى دعت إلى إلغاء الامتحانات الشفوية من المدارس ، ولو أن هذه الامتحانات فى ذاتها لن تؤتى ثمارها إذا كان המתحون لا يجيدون اللغة العربية إجادة تامة . وكم يزداد القلم فى يدى



وأنا أفكر فى القول : إن خريجي قسم اللغة العربية فى كلية الآداب ليسوا جميعا ممن يتقنون لغتهم العربية .

واعتقد أنه لا سبيل إلى إصلاح هذا إلا بأن يفرض على الطلبة فرضاً منذ بواكير حياتهم الدراسية أن يحفظوا جزءاً من القرآن يمتحنون فيه شفويّاً ، ويمكن أن يفرض على أبنائنا من الطلبة المسيحيين أن يحفظوا نصيباً من الشعر العربى بحيث لا يسمح للطلبة أن ينتسبوا إلى مدرسة إعدادية حكومية أو خاصة إلا إذا أدوا هذا الامتحان .

وإن نظرة واحدة إلى لغة آبائنا تؤكد مقدار الأثر العظيم الذى أفادوه من إجادة اللغة العربية ، وقد استطاع هذا الأثر أن يجعلهم أقوياء أيضاً فى اللغات الأجنبية التى كانوا يدرسون بها معظم المواد فى المدارس الحكومية فرنسية كانت هذه اللغة أو إنجليزية .

وليست اللغة أداة للأدب وحده ، بل إنها الخطوة الأولى التى لا بد منها لكى يتقن الطالب أى ثقافة يتجه إليها فليس من الختم أن يصبح خريجو الجامعات كلهم أدباء ، ولكن من الختم الذى لا محيد عنه أن يكونوا جميعا مثقفين .

ثروت أباط

- ١٩٢ -

الأهرام - العدد ٣٢٧٦٤

٢٤ أغسطس ١٩٧٦

شيئا لله . يا رئيسة الديوان

فكرى . . شاب موظف بإحدى الشركات لا تلقاه إلا وابتسامه مشرقة تسبقه إليك ، وترحيب يبين منه الحب والشوق للناس جميعا . وفكرى يجب أن يؤدي لك أى خدمة تقصده فيها ، وهو يسعد بأداء هذه الخدمات سعادة لا توصف ولا يقبل فى سبيل خدماته أى مقابل . إلا أن فكرى يجب أن يتحدث فيروى لك أنباءه جميعا وأنباء الأصدقاء المشتركين الذين يسعى دائما إلى معرفة أخبارهم ، فهو حريص على أن يطمئن على أصدقائه ما أمكنته الفرصة حرصا لا يبتعه إلا الحب والوفاء والأخوة الصادقة .

ومتعة فكرى فى حياته هى صلاته هذه بأصدقائه وحديثه إليهم ، وتحس وهو يحادثك عنهم أنه يمارس هواية يعشقها بحبه كله وروحه كلها . تحس فى وجهه وفى عينيه متعة الفنان يمارس فنه ، وفنه هو حب الأصدقاء والحديث إلى الأصدقاء وعن الأصدقاء .

لقيت فكرى يوما . فإذا عينان منطفئتان ووجه قائم لا بشر فيه . وحين تصافحنا وسألته كيف أنت أجابتنى منه دمعتان تصرخان بالألم الحبيس يعلو ضجيجيه فى صمت .

ماذا بك . . فكرى ماذا بك ؟ وأشار إلى لسانه وحركه فى فمه حركة لا يستقيم معها لسان ولا تصدر منه كلمة . . لماذا ؟ أشار إلى السماء وضرب كفا بكف ، ولم أجد شيئا أقوله فالحديث الصامت الذى ألقاه لا يسمح لى أن أجد شيئا أقوله .

## - ١٩٣ -

وفى يوم وجدت فكرى يدلف إلى فى مكتبى بنادى القصة وقد عاد إليه إشراقه وابتسامته ، ولا غرو فقد عاد إليه لسانه وروى وأفاض .

طلع عليه الصباح فإذا لسانه لا ينطق ، لم يكن فى ليلته السابقة تعرض لكدر أو إثارة وإنما كانت ليلة مثل كل الليالى ، صلى العشاء وقرأ فى القرآن ونام ثم أصبح وقد أمسك لسانه عن الحديث . مر بالأطباء جميعاً من أعصاب إلى باطن إلى شرايين .. لا شىء به . . أعصاب أضربت عن العمل دون طلبات .. وتوالت الأدوية ومرت الأيام بلا فائدة ثم هو يقول إنه نام فى ليلة وقد عصره الألم عصباً بعد أن صلى العشاء وأفاض فى الدعاء والرجاء . وتجلت له السيدة زينب فى الحلم تدعوه إليها ، فقام قبل الفجر وقصد مقام السيدة أم هاشم وارتمى على عتبها ونذر لله النذور . وقبل أن يكمل صلاة الفجر كان يقرأ سورة الفتح بصوت مرتفع ، وعاد لسانه إلى انطلاق . انحبست الدموع من عينيه واتجه إلى مقام السيدة يقدم الشكر ويفى بالنذور .

ترى كم من المثقفين سيقرأون هذا الكلام ويسخرون . هؤلاء لم يحسنوا الثقافة ، فعلوم الروحانيات معترف بها فى أعظم الدول تقدماً .

وقد شهدت فى التلفزيون الأمريكى شخصاً يشفى الناس بقوة دينية خارقة . وحسبت يومذاك أنه برنامج إعلانى إلا أننى رأيته منذ قريب يعرض بالقاهرة والبرامج الإعلانية لا تباع .

وقد يقول قائل إنها حالة نفسية وثقة من المريض أنه سيشفى ، وما البأس وفيه تضار الثقافة إذا اطمأن إنسان إلى معنى كريم هو وفاء لأهل بيت رسول الله وللعارفين بالله المتقرين إليه .

ولا شك أن المغالاة فى هذا سخف . بل إن المتصوفة يرفضون تصوف المجاذيب لأن المجذوب لا يدرك ، أما أن يؤمن إنسان بأن إنساناً آخر من الأتقياء يستحق أن يزار قبره وتقرأ له الفاتحة وتوزع الصدقات على الفقراء اللاتدين بساحته فإنه لا يمس الثقافة فى شىء . فإن قائلًا لم يقل إن هذا يغنى عن العلم . بل إن صديقنا فكرى مع إيمانه بمقام الأولياء لم يقصد إليهم بادئ ذى بدء وإنما قصد إلى الأطباء ولكن السيدة زينب رضى الله عنها هى التى شفته وليحلل مدعى الثقافة هذا الشفاء بما يحلو له من التحليل .

كثيرا ما يكون إلى جانبى أستاذنا توفيق الحكيم — وهو من أعظم المثقفين فى العصر الحاضر — ونمر على مقام سيدى بشر بالإسكندرية فما ينسى الحكيم مرة أن يقرأ له الفاتحة . بل لقد نذر فى مرة منذ سنوات أن يذبح له خروفا إذا شفى مريض عزيز من أهل بيته وشفى المريض — ومازال الحكيم يذبح خروفا فى كل عام ويوزعه على فقراء سيدى بشر . وقد مرت السنون الطوال على هذا النذر وئمن الخروف فى هذه السنوات وصل إلى مبلغ لاشك أن أستاذنا الحكيم يتأثر بلفعه تأثرا شديدا ولكنه مع ذلك لا يتردد .

وإخواننا المسيحيون فى مصر لهم أيضا من يتبركون به مثل مارى جرجس وسانت تريز ودميانه . بل ما أظن الشموع فى الكنائس العالمية إلا صورة من هذا التقرب .

ويبدو لى أن هذا الذى نشهده فى مصر هو فى أصله عادة مصرية قديمة لم تبارح المصريين من قبل ظهور الأديان . وأيا ما كان الأمر فإن كثيرا من الناس تجدد فى نفوسها طمأنينة وانشراحا فى رحاب بيوت

اللّه ، وإلى جوار قوم أقل ما يقال فيهم أنهم كانوا فى حياتهم يحسنون أن يعبدوا اللّه جل جلاله ولو لم يكرمهم الناس إلا لهذا لكان هذا حسبهم وحسب الناس .

### متسولون على أرصفة الشهرة :

بعض الشباب وجدوا فى أيديهم أقلما ، ووجدوا أنفسهم فى مجالات قبل أن ينضجهم الزمن وتتقدم به السن بعض الشيء ، ونظروا إلى ما قدموه فى ميدان الأدب فوجدوه هزيبا لا يقيم أديبا ولا شبهة أديب . ونظروا إلى داخل أنفسهم فلم يجدوا شيئا فالماء الشحيح الذى قدموه فى نهر الأدب هو كل ما كانوا يملكون ولا يملكون غيره ليقدموه . وقد كانوا فى بداية حياتهم يتوقون إلى الشهرة ، وقد ظنوا أنهم بلغوها بكتاب يصدرونه أو كتابين ، ولكن الشهرة أخلفت ظنهم وظلوا فى بؤرة الجهل .. الجهل منهم والجهل بهم .. ونزلت عليهم أستار الضياع فلا هم كسبوا صنعة ولا هم أصبحوا أدباء ولا هم أصابوا شهرة .. أى شهرة .. مساكين هؤلاء الناس . لقد أقاموا دكاكينهم على أرصفا الشهرة يشتمون كل شهير ويحطمون كل التقاليد ويحرقون كل كريم فى حياتنا الأدبية ... ويلهم لو أبصروا لوجدوا أنهم يشتمون أنفسهم لا المشاهير ، ويحطمون كياناتهم هم لا التقاليد ويحرقون فلا يحرقون إلا البقية الباقية من إنسانيتهم .

مساكين هؤلاء الناس سيفلون ينبحون على أمل أن يصبحوا كلابا شهيرة ماداموا قد فشلوا أن يصبحوا آدميين على شئ من المكانة . ومع

- ١٩٦ -

ذلك ، فالكلاب الناجحة لا تصيب شهرة لأن كل الكلاب تستطيع أن تنجح .

خطاب من الدكتور وحيد رأفت :

كتب الأستاذ الكبير الدكتور وحيد رأفت هذا الخطاب إلى ، ويشرفني أن أضع الخطاب كما جاءني فكاتبه أكبر من التعريف وما يكتبه أكبر من التلخيص ومن التعليق أيضا .

٣ أغسطس ١٩٧٦

« بعد التحية »

« استوقفت نظرتي في الأهرام ( الثالث ) من أغسطس كلمتكم المعادة (إلى ) السيد وزير الحربية حول تجنيد الشباب بعد سن الثلاثين ، وإشارتكم فيها إلى الرسائل التي انتهت على الأهرام من أسر مصرية عديدة تطالب بإعادة النظر في هذا الأمر ، ولعلكم تذكرون أن قانون الخدمة العسكرية الإلزامية كان ينص في الأصل على انتهاء هذا الإلزام ببلوغ سن الثلاثين ثم في تمديدها إلى الخامسة والثلاثين ..

وهو تعديل غير حكيم وغير ضروري ، أما عدم حكمته فلأن الشاب بعد الثلاثين وقد تقدمت به السن انشغل بمشاكل الحياة ، فلن يكون أهلا لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية على وجه مرض كباين الثامنة عشر أو الخامسة والعشرين مثلاً ، وأما عدم ضرورة التعديل المذكور فلأن التجنيد ومعسكرات التدريب غير جادة ، وترتب على ذلك أن جزءاً كبيراً من هؤلاء المجندين إلزامياً أصبح لا يؤدي الخدمة إلا صورياً أو بصورة ناقصة لا تحقق الغرض المنشود من فرضها أصلاً ... كما توافقني

- ١٩٧ -

على أن رفع سن التجنيد الإلزامى إلى الخامسة والثلاثين أدى إلى أن نفرًا ليس بالقليل من أبنائنا ممن أتاحت لهم فرص السفر إلى الخارج قبل أداء الخدمة الإلزامية أصبحوا يتخرجون من العودة إلى الوطن قبل بلوغ الخامسة والثلاثين . حتى لا تلاحقهم الإدارات المعنية بتنظيم أعمال التجنيد ... ومن بين هؤلاء المواطنين من أسعفه الحظ ، أو ساعدته دراساته ومواهبه في العثور على عمل مجز يؤمن مستقبله ، ومن بينهم من تزوج وأنجب . ولا يصح في الأذهان أن يرضى مثل هؤلاء عن طيب خاطر بالتضحية بوظائفهم وأعمالهم ومستقبلهم والانفصال عن زوجاتهم وأولادهم لغرض أداء الخدمة العسكرية والإلزامية في تلك السن ، وربما لأجل غير مسمى قد يمتد لبضع سنين كما كان الحال فعلا في السنوات الأخيرة .

لذلك ، فقد أحسستم صنعاً بتنبيه السيد وزير الحربية ومعاونيه إلى هذا الأمر الهام .

انتهى ....

- ١٩٨ -

الأهرام - العدد ٣٢٧٦٧  
الجمعة ٢٧ أغسطس ١٩٧٦

## خطاب إلى وزير التعليم

كم كنت أشفق عليك وأنت تدير معركة الامتحانات ، شاعرا بما أعرفه فيك من يقظة الضمير أنك تعتبر نفسك مسئولاً عن كل خطأ قد يرتكب أثناء حلقات الامتحان جميعاً بادئة بالأسئلة ، وهى سر لا بد له أن يستخفى حتى تتمائل الفرص منتهية بقبول الناجحين بالجامعات حسب ما حصلوا عليه من مجموع .

واليوم أوشكت المعركة على النهاية ، ولا يستطيع منصف لك أو للحق إلا أن يعترف أنك أدركتها بما يرضى الله والضمير النزيه ..  
ولا أحب يا سيدى أن أنقص عليك لذة الانتصار ، ولكن لا بد أن أناقش معك بعض الأمور .

لقد توفرت السرية فى أوراق الإجابة ، ولكن هل أنت مطمئن يا سيدى الوزير تماماً أن المدرسين الذين صححوا أوراق اللغة العربية بالذات على علم كامل بالنحو علما وذوقا يتيح لهم أن يحكموا على من يجيد الإنشاء مثلاً ومن لا يجيدها .

أنا أشك فى ذلك . ولا علينا الآن من الماضى وإنما أريد أن نلقى نظرة إلى المستقبل .

ألا يمكن يا سيادة الوزير إعداد حلقات دراسية لهؤلاء المدرسين ليتقنوا النحو إتقاناً يتيح لهم أن يدرسه .



والآن ونحن على أبواب عام جديد ، ماذا ستكون سياسة الوزارة فى وضع البرامج لتعليم اللغات . فالعلوم حقائق ثابتة لا تحتاج إلى اجتهد ، أما الآداب التى تنتسب اللغات إليها فهى فن وعلم فى وقت معا . من الذى سيختار النصوص فى اللغة العربية ؟ إن الطفل إذا بدأ دراسته فى اللغة العربية بقول الشاعر :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل فيك إلا بالرضا  
سينصرف عن الأدب العربى قديمه وحديثه .

والتلميذ إذا بدأ بدراسة أبيات شوقى بالطريقة التى تدرس له اليوم سيختلط عليه الأمر وتنمى فى ذهنه ملامح الذوق الفنى ، ويصبح وهو لا يدرك ما هو الشعر الجيد وما هو الشعر الساقط ويترك الأدب وينصرف عنه وينصرف عن اللغة العربية كلها .

والتلميذ إذا قررت عليه رواية لا قيمة لها من الناحية الفنية ، وإنما كل ما يمتاز به أنها تدعو إلى مكارم الأخلاق فى أسلوب مقالى مباشر ، أصبح وهو لا يدرك الفارق بين العمل الفنى الذى يتمثل فى القصة والرواية المسرحية وبين المقالات وخطب الوعظ والحكم وغير ذلك من صنوف الكلام التى لا تتسم بالفن وبذلك ينأى عن القراءة الأدبية جميعا .

إن مهمة المدرسة ضخمة ، فهى لا تقدم المعلومات فحسب وإنما هى تنشئ جيلا بأكمله تتعلق به آمال بلاده . ولست أغالى إن قلت إن آمال العرب جميعا تتعلق بهذا الجيل ، فإن مصر ستظل زعيمة العالم العربى فى الآداب والفنون .

— ٢٠٠ —

ولهذا أقترح يا سيادة الوزير أن تختار لجنة من كبار الأساتذة فى الجامعة وغير الجامعة لتشارك فى وضع المقررات والبرامج فى اللغة العربية ، وإننى لعلنى ثقة أنك تدرك خطورة المهمة التى تضطلع بها هذه اللجنة ، وما يجب أن يتوفر لها من علم راسخ وذوق رفيع وفقك الله .  
ثروت أباطة

الأهرام - العدد ٣٢٧٧١

٣١ أغسطس ١٩٧٦

### شريعة الحضارة هي شريعة الغاب

شريعة الغاب فيما تعرف هي التي تكون الغلبة فيها للأقوى . وهى التي كانت سائدة حين كان الإنسان غريزة بلا حس ومطالب جسمانية بلا مشاعر وحيوانا يوشك أن يكون أعجميا بلا روحانية أو فن أو بعض سمو .

وكان الإنسان فى هذه الفترة لا يدرك معنى إلا أن يأكل ويتوالد . فإذا تزعم منهم زعيم بالقوة وحدها يتزعم ، حتى إذا علت به السن وأنهكته الأيام غلبه على أمره زعيم آخر ، وقد يكون هذا الزعيم ابنه فأرطق ما يصنعه بأبيه أن يرمى به إلى عقر الدار كمية من الحمل يلقي إليه بالطعام إلقاء . فإذا حدثت جماعة وقل الصيد فأول من يحرم من الطعام هو ذلك الأب وليلقفه الموت ما دام ضعيفا ولا يستطيع أن يحصل على قوته .

القوة وحدها هي السيد ولا سيد غيرها . والعقل لا عمل له والمعانى الأخرى التي عرفتها البشرية فيما بعد غيب محجب لا يدرك أحد من الناس عنه شيئا . بل قد نعرف عن الغيب خيرا أما هذه المعانى فقد كانت شيئا غير معروف على إطلاقه .

ومرت الأزمان ، وادعى الإنسان أنه تحضر وعرف الرقى والسمو والرفعة . وأشرق العلم بأضوائه الساطعة ، وتسابقت الفنون على ألوانها وأشكالها المختلفة من موسيقى إلى أدب إلى فن تشكيلي إلى تمثيل . وادعى الإنسان أنه أصبح ذا مشاعر رفيعة يعرف الحب ويعرف الوفاء

## - ٢٠٢ -

ويعرف طاعة الآباء والبر بهم ويعرف الصداقة ويعرف أسمى ما بلغته البشرية من التضحية من أجل الوطن أو الصديق أو الأب أو الابن .  
ولعل هذه المعاني تكون حقيقة في حياة أفراد . وصلات بعض البشرية ببعض . ولكن أين هذه المعاني من صلات الدول بعضها ببعض ؟

لم تستطع هذه المعاني أن تمنع الحروب ، فشملت عهود التاريخ جميعا . مستمرة متلاحقة حتى لا يستطيع الإنسان أن يذكر فترة من التاريخ مرت دون حروب مستطيلة متلاحقة سنوات عددا أو تنكمش لتنتهي في فترة وجيزة لتتبعها حروب أخرى وتأخذ حرب برقاب حرب أخرى .  
حتى كانت الحرب العالمية الأخيرة ، وانفجرت القنبلة الذرية لتمحق مدينتين في اليابان إن وجد مفجرهما عذرا هشا للقنبلة الأولى مدعيا أنه ينهى بها حربا عالمية استحال عليه أن يجد العذر للقنبلة الثانية التي كان عنها في غناء شديد ، إلا أن يكون ميراثه من عهد الغاب هو الذي سيطر عليه وهو يلقيها ، بل لعله كان أكثر همجية من عهد الغاب لأن الإنسان الأول كان يقتل ليأكل ولم يكن يقتل لمجرد القتل .

واستطاعت هذه القنبلة حين استقرت أمنة عند الدولتين الكيريين أن توقف الحروب العالمية . ولكن هل توقفت الحروب العالمية بسبب السمو الإنسانى أم بسبب خوف كل دولة من الاثنتين مما قد تلحقه به الأخرى ؟ المؤكد أن المعاني السامية لا شأن لها بتوقف الحروب الكيرى ، ولو أن إحدى الدولتين أصابت القنبلة الذرية دون الأخرى لسيطرت على العالم أبشع ما تكون السيطرة .

## - ٢٠٣ -

وحين ضمنت الدولتان الكيريان ألا حرب بينهما قسمتا العالم بينهما ، فأما إحدهما فتجذب أنصارها من الدول بسكب المال عليها وإشعارها دائما أنها تحتاج إليها .

وأما الأخرى فقد سلكت طريقا مختلفا كل الاختلاف ، فهي تسلب الدول الواقعة في حوزتها مالا ، وتفرض عليها نظامها فرضا لا رحمة فيه ولا شفقة . حتى إذا حاولت دولة كالجزر أن تثور انطلقت إليها الدبابات الروسية تدوس الأطفال وتقصصهم كالهوام والحشرات . وإذا حاولت دولة أخرى أن تغير بعض الأنظمة فيها تهطل عليها خمس دول تتزعمهم روسيا بالسلاح وتسحق محاولة التغيير .

وتنتشر الحروب الصغيرة لتعوض العالم عن الحروب الكبرى ، فهو عالم دموى قوى الأواصر بأجداده من عصر الغاب فهو بذلك أصبح لا يستطيع العيش إلا على الدماء .. وويل للمغلوب ..

تسرق إسرائيل فلسطين . وتتوالى الحروب بين مصر وإسرائيل ونهزم هزيمة ٦٧ فإذا العالم المتحضر جميعا يشيح عنا بوجهه ، ويبدأ التعايش السلمى على أشلاء الجثث المصرية فى سيناء ، وتتفق الدولتان الكيريان أول اتفاق لهما على أن يتركا المنطقة فى حالة استرخاء عسكرى . ولم لا وقد غلبت دولة أخرى غلبة ساحقة وأصبح من المؤكد أن مصر لن تستطيع أن ترفع رأسها إلى أبد الآبدين ، فلا خوف إذن من المنطقة ، وخير ما يصلح لها هو الاسترخاء العسكرى . فما دمت لا تستطيع أن تغلب مت . هذا هو منطق الحضارة الرفيعة فى قمة مجدها لا تختلف فى شئ عن منطق الغاب السحيق البعد فى غياهب التاريخ .. اغلب أو مت .. وما الاسترخاء على الهزيمة .. أليس هو الموت وما البأس بك أن

— ٢٠٤ —

عموت ما دمت لا تستطيع أن تنتصر . على هذا تتفق الدولتان .. الدولة التي تكتب على عملتها « بالله نحن نؤمن » والأخرى التي ترفع شعار المادية وتعتمد فلسفتها على الشعار الذي رفعوه « بالله نحن نلحد » أقصى الروحانية وأقصى المادية ... كلاهما اتفق على أن الاسترخاء هو الأخلق بالمنطقة والأجمل بها والأحرى .

وتشمخ علينا الأنوف أننا هزمتنا ، وتعالى نغمات الاحتقار من الصديق قبل العدو . ونرتكس في الذل والمهانة والإحباط . ونمشى في البلاد العربية التي استمدت ثقافتها وحضارتها من ثقافتنا وحضارتنا منكسى الرؤوس انكسرت منا العيون وذلت الرقاب وانهزمت نفوسنا داخل نفوسنا فكان كل فرد منا يحس أنه هو نفسه هزيمة ٦٧ لا يحملها وإنما يمثلها فهي هو وهو هي .

ونتفض لنحقق أول نصر عربي في العصر الحديث ، فإن الدولة التي تمثل قمة الحضارة تلتفت إلينا في دهشة إكباراً ويصبح العجب إعجاباً والتعجب إجلالاً وتنتصر نفوسنا داخل نفوسنا ، ويمثل كل منا انتصار ٧٣ وكأنه هو الانتصار ، ألم تستطع الدول المتحضرة أن تذكر حضارتنا حين كان العالم في جهل ومجاهل ؟

ولم تستطع أن تذكر تزعمنا الثقافي للمنطقة جميعاً حتى ونحن في أشد أوقات الهزيمة والانحدار .

ولم تستطع أن تذكر أننا مهد النبوات وأرض الرسالات ومشرق الفكر الديني وأغنى بلاد العالم بالآثار . فقيم إذن يكتبون على عملتهم « بالله نحن نؤمن » ؟

— ٢٠٥ —

إنها شريعة الغاب لم تترك نفس الإنسان حتى وهو فى أرقى عهود حضارته وسموّه .. أينسون كل هذا ولا يلفتهم إلينا إلا أننا حققنا النصر الأخير . ألم يكن تاريخنا جميعاً نصراً لنا وللإنسانية ؟

ويل للإنسان من الإنسان !

\* توعية الجماهير :

لا أعرف شعاراً أسخف من شعار توعية الجماهير هذا . ولعل جمعية تنظيم الأسرة هى أعظم دليل على ما أذهب إليه . فهذه الجمعية فيما أعتقد قامت لتبث الوعي بين الجماهير أن يحددوا النسل حتى لا ينوء رب الأسرة بعدد كبير من الأولاد ويصبح وهو لا يستطيع الإنفاق عليهم ، وحتى لا ينوء الوطن بأبنائه فيصبح وهو غير قادر على القيام بشأنهم . ومنذ قامت هذه الجمعية والأطفال ينسلون إلى الحياة زرافات ولا أقول وحادانا .

وتنظر حواليك فتجد الأسرات ، كلما كانت جاهلة كثر فيها النسل ، وكلما ازدادت بها الثقافة قل فيها الأطفال . والأسر المثقفة لا صلة لها بجمعية تنظيم الأسرة ولا بالشعارات التى ترفعها . ومن عجب أن تحاول هذه الجمعية بث دعايتها عن طريق التليفزيون بينما المقصودون بهذه الدعاية لا يكادون يجدون طعام يومهم ، فما خطبك بالتليفزيون ؟

وكنا ظننا أن انتشار الراديو فى القرى سيجعل الفلاح يجد ملهاته أخرى غير إنجاب الأطفال ، فإذا بالأمر يزداد سوءاً ويلزم داره مع الراديو ويزداد الإنجاب .

— ٢٠٦ —

وجمعية تنظيم الأسرة — فيما أعتقد — ذات ميزانية وإلا فمن أين تنفق على رعايتها وعلى مرتبات الموظفين بها .

ترى أيعتقد القائمون بأمر هذه الجمعية أنهم حققوا أى نجاح بدعايتهم وبتوعيتهم للجماهير . وإن كان هذا ظنهم فأين أثره ؟

الحقيقة أن الوعي يأتى من داخل الإنسان ، وهو لا يأتى من فراغ ، وإنما يأتى من تفكير ، والتفكير لا يكون إلا مع شىء ولو يسير من الثقافة ، والثقافة لا تكون إلا مع شىء ، ولو قليل من العلم ، والعلم لا يكون إلا بتعلم القراءة والكتابة ، فلو شاءت هذه الجمعية أن تكون ذات نفع فلتنس ولو إلى حين مشكلة تحديد النسل ، ولتنفق جهدها ومالها فى مشكلة تحديد الجهل .

فإذا قرأ الأمى فكر ، وإذا فكر سيعرف هو من تلقاء نفسه كيف يحدد نسله وتصل الجمعية إلى ما تنشده .

**ثروت أباطة**



رقم الإيداع : ١٠١٩٨ / ٩٩

الترقيم الدولي : ٧ - ١٢٩٣ - ١١ - ٩٧٧ I.S.B.N

دار مصر للطباعة  
سعيد جوده السحار وشركاه



دار مصر للطباعة  
سميد جوده السحار وشركاه

Bibliotheca Alexandrina  
مكتبة الإسكندرية



0293902